الحروب الصليبية

إعداد الطالب

مشعل بن سعود مبارك الشلوي

المحاضرة الاولى

❖ مقدمة عن الحروب الصليبية:

- التعريف بالحروب الصليبية

- أدوار الحروب الصليبية ومداها الزمني.

- أحوال العالم الإسلامي عند قيام الحروب الصليبية

- أحوال الغرب الأوروبي

التعريف بالحروب الصليبية

الحروب الصليبية :

هي سلسلة من الحملات العسكرية التي شنها الغرب الأوربي على ديارالاسلام تحت ستار الدين، وعرفت تلك الحملات بالحروب الصليبية نسبة الى شعارها الذي رفعته وهو الصليب. وسوف ندرس في هذا المقرر ٧ حملات هى الحملات الأشهر في تاريخها. وإن كانت هناك حملات أخرى كثيرة لكنها لم تأخذ أرقاما لأنها كانت أقل أهمية.

أدوار الحروب الصليبية ومداها الزمني

جرى الوضع فى كتب التاريخ على تحديد المدى الزمنى للحروب الصليبية بالفترة الواقعة بين سنتى ١٠٩٥ – ١٢٩١م. لكن هذا التحديد غير دقيق لأنه كان للحروب الصليبية بمعناها الواسع جذور ومقدمات سبقت عام ١٠٩٥م من حيث الفكرة والحروب العسكرية:

وهذه الفترة الزمنية (١٢٩١-١٠٩٥م) يمكن أن نسميها الفترة النشطة في الحروب الصليبية.

(أ) من حيث فكرة محاربة المسلمين والاستيلاء على بيت المقدس منهم كانت فكرة قديمة وتمثلت فى:

١- دعا البابا سلفستر الثانى - فى أحد رسائله العالم الغربى لإنقاذ بيت المقدس ، ورغم تشكيك البعض فى نسب هذه الرسالة إلى البابا فإنه من الصعب رفضها كلية.

٢- البابا سيرجيوس الرابع قام بتوزيع منشور بابوى وفى هذا المنشور ظهر بكل وضوح أن البابا يدعو إلى نوع من الحرب الصليبية ، وكانت الأنباء قد وصلت البابا بهدم كنيسة القبر المقدس فأعلن عزمه على قيادة أسطول للإبحار صوب بلاد الشام لإلحاق هزيمة بالمسلمين ، ولإعادة بناء القبر المقدس.

(ب) من حيث الحروب العسكرية فإن الحملات الصليبية سبقتها بعض مقدمات بحوالى مائة عام تقريباً ، وذلك على يد الإمبراطور البيزنطى (الروم) نقفور فوقاس ، ثم على يد خلفه الإمبراطور يوحنا تزيمسكس ، وهذه المقدمات التى قام بها هذان الإمبراطوران من اعتداءات على بلاد الشام، تجيز عند البعض تسمية حروب هذين الإمبراطورين بالحروب الصليبية.

على الجانب الآخر نجد أن التيار الصليبى استمر بعد عام ١٢٩١م، وذلك طوال القرن الرابع عشر وشطر من القرن الخامس عشر.

أحوال العالم الإسلامي عند قيام الحروب الصليبية

الدولة العباسية: كانت الدولة العباسية في هذه الاونة تعاني من الضعف والانحلال السياسي، وأضحت مجزأة الى دويلات متنافسة متعددة في الوقت الذي أصاب فيه الوهن سلطة العباسيين وأصبح خلفاؤهم مغلوبين على أمرهم وقد انحصر نفوذهم في بغداد.

الدولة الفاطمية: كانت تسيطر على مصر وجزء من الشام وتعادي الدولة العباسية بسبب الخلاف المذهبي بينهما. وكانت تعاني هي الأخرى من ضعف الخلفاء وتدهور سلطتهم أمام الوزراء.

بلاد الشام (المسرح الأول للحملات الصليبية):

- كانت تخضع لعدة قوي هى التي واجهت هذه الحملات:
- السلاجقة (سلاجقة الشام)
- الدولة الزنكية (في الموصل وحلب)
- وكانت دولة السلاجقة التي واجهت الصليبيين لأول مرة ممزقة بين قوى سلجوقية صغيرة.

أحوال الغرب الأوربي

- كانت هناك كثير من الخصومات والخلافات التى كان عليها الغرب الأوربى من عداء بين انجلترا وفرنسا، وبين ألمانيا والمدن الإيطالية وغيرها، وصارت مسرحاً للتنافس بين كبار ملوك أوربا.

- كما كانت الغالبية العظمى من الناس فى غرب أوربا – وخصوصا فرنسا موطن معظم الصليبيين- يحيون حياة شاقة مليئة بالذل والهوان والمعاناة من المشاكل الاقتصادية.

تدريبات

لماذا كانت فكرة محاربة المسلمين والاستيلاء على بيت المقدس منهم فكرة قديمة في أوربا تسبق عام ١٠٩٥؟

دعا البابا سلفستر الثانى فى أحد رسائله العالم الغربى لإنقاذ بيت المقدس.

البابا سيرجيوس الرابع قام بتوزيع منشور بابوى وفى هذا المنشور ظهر بكل وضوح أن البابا يدعو إلى نوع من الحرب الصليبية، وكانت الأنباء قد وصلت البابا بهدم كنيسة القبر المقدس – خلال عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي- فأعلن عزمه على قيادة أسطول للإبحار صوب بلاد الشام لإلحاق هزيمة بالمسلمين، ولإعادة بناء القبر المقدس .

❖ دوافع الحملات الصليبية:

- الدافع الديني

- الدافع الاقتصادي

- الدافع الاجتماعي

- الدافع السياسي

الدافع الديني

❖- ارتبط الدافع الديني ارتباطاً وثيقاً بما يعرف بالحج إلى الأراضي المقدسة في فلسطين، فقد شعر المسيحيون منذ وقت مبكر بالرغبة القوية في أن يروا بأنفسهم تلك المواقع المرتبطة بذكريات المسيحية مثل الموضع الذى ولد فيه السيد المسيح ، فاقبل الحجاج المسيحيون من أوربا أفواجاً لزيارة الأراضي المقدسة في فلسطين.

❖- استغل الأوربيون ما قام به الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله من تدمير كنيسة الضريح المقدس، وما أخذ الحجاج يتحدثون عما يلاقوه من متاعب بعد عودتهم إلى أوطانهم. للدعاية ضد الإسلام والعمل على إنقاذ المسيحيين والأماكن المقدسة.

❖ - والحقيقة أنه مهما بلغت حدة تلك المضايقات التي تعرض لها الحجاج المسيحيون، فلن تصل إلى حد مبالغات وادعاءات بعض هؤلاء الذين أخذوا يهولون الأمر ويصفون اضطهاد المسيحيين وانتهاك حرمة

❖- يضاف لذلك أن سوء معاملة المسيحيين لم تقتصر على الجانب الإسلامي فقط ، وذلك في بعض الفترات ، بل تعدته إلى الجانب البيزنطي أيضاً ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما نجده في عهد الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني ، إذ طلب من موظفيه فرض ضريبة على الحجاج وخيولهم، ثم تابعت الإمبراطورة ثيودورا سياسة أبيها ، وقامت بفرض الضرائب الباهظة على الحجاج المسيحيين.

❖- فالقول بأن الحروب الصليبية أتت رد فعل للاضطهاد الذى تعرض له المسيحيون الشرقيون والغربيون في البلدان الإسلامية ، إنما هو ادعاء باطل لا يتفق وروح الإسلام ، وما أحاط به القرآن أهل الكتاب من عناية ورعاية ، وما أمر الله به محمد (صلى الله عليه وسلم) من دعوته إلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأثبت التاريخ أن المسيحيين عاشوا دائما في كنف الدولة الإسلامية عيشة راضية سلمية في معظام أوقاتها ربما باستثناء فترة الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي عاني منه المسلمون أيضا.

الدافع الاقتصادي

❖- مع اعترافنا بوجود بواعث عديدة للحملات الصليبية نميل إلى تأكيد أهمية هذا العامل بالذات في تلك الحملات ؛ ذلك أن جميع الوثائق المعاصرة تشير إلى سوء الأحوال الاقتصادية في غرب أوربا وبخاصة فرنسا في أواخر القرن الحادي عشر ، والتي بلغ من قسوتها أنها ألجأت الناس إلى أكل الأعشاب والحشائش. وفي ضوء هذه الحقيقة يمكننا أن نرى لماذا كانت نسبة الصليبيين الفرنسيين المشاركين في الحملة الصليبية الأولى تفوق نسبة الوافدين من أي بلد آخر من بلدان غرب أوربا.

❖- ويلاحظ الباحث في تاريخ الحملات الصليبية حماسة منقطعة النظير من جانب مدن إيطاليا التجارية مثل جنوة وبيزه والبندقية للمساهمة في تلك الحملات فقد تأثر التجار الإيطاليون بالحركة الصليبية وقاموا بمساندتها بكل ما تحتاج إليه من مؤن وأسلحة وأساطيل. وهناك عدة أسباب دفعت المدن الإيطالية لتقديم المساعدة للحملات الصليبية يمكن إجمالها فيما يلى :

١- الموقع الجغرافي القريب (الذى كانت تحتله المدن الإيطالية) نسبياً من الموانئ الإسلامية بالشام .

٢ - حاجة هذه المدن التجارية للبحث عن موارد اقتصادية إضافية خارج حدود نطاقها .

٣-النشاط التجاري الواسع مع العالم الإسلامي ومعرفة تلك المدن بثراء الشرق.

٤- ما تفرضه عليها طبيعة النظام الاقتصادي الجديد الذى كان يقتضى ضرورة الرحلات التجارية واستثمار الأموال من أجل إنعاش حجم التجارة بين الشرق والغرب بشكل دائم.

الدافع الاجتماعي

- يمكننا تصور المجتمع الأوربي في العصور الوسطى في شكل مثلث يتألف من ثلاث أضلاع ؛ فالنبلاء (الذين يحاربون)، ورجال الكنيسة (الذين يصلون) كانوا يشكلون ضلعي هذا المثلث، ثم المزارعون من الأحرار والأقنان (عبيد الأرض) ، وكانوا بمثابة قاعدة هذا المثلث الإقطاعي.

- وكانت طبقتي النبلاء ورجال الدين أقلية تمثل في مجموعها الهيئة الحاكمة من وجهة النظر السياسية، والارستقراطية السائدة من وجهة النظر الاجتماعية ، في حين ظلت طبقة الفلاحين تمثل الغالبية المغلوبة على أمرها ، والتي كان على أفرادها أن يعملوا ويكدحوا ليسدوا حاجة الطبقتين الأخريين.

- - وكان لكل ضلع من أضلاع المجتمع أسبابه للمشاركة في الحملات الصليبية:

- (أ) الفرسان: من الإقطاعيين وكانت لديهم عدة أسباب للمشاركة تتمثل في:

- ١- الصراعات الحربية بين السادة الإقطاعيين من أجل السيطرة على الأرض وما عليها من دواب وأقنان ، وحاولت البابوية - بوصفها أعلى مؤسسة روحية - وقف هذه النزاعات دون جدوى ، ومن ثم ظهر ما يعرف بهدنة الرب، وكان هدفها فترة سلام لا تخرج فيها السيوف ، غير أن هذه المساعي ذهب أدراج الريح وباءت بالفشل.

- ٢- وقد شجع النبلاء على الاشتراك في الحروب الصليبية أن الاقطاعات في غربي أوربا لم تعد تكفي أفراد العائلات النبيلة المتزايدة ، خاصة بعد انتشار تطبيق النظام الذى عرف باسم Primogeniture ، والذى نص على يرث الابن الأكبر فقط من أكبر أولاد السيد الإقطاعي إقطاعه وامتيازاته بعد وفاة الوالد ، وبذلك يصبح على باقي الأبناء السعي في اتجاه آخر للبحث عن إقطاعات خاصة بهم ، لذلك وجد المحرومين من الإرث الإقطاعي خاصة نبلاء فرنسا في الحروب الصليبية التي ربطت الواجب المسيحي، بامتلاك الأراضي فرصة للسفر والمغامرة في بلاد الشرق الإسلامي.

- (ب) كانت طبقة الفلاحين في أوربا تكون نسبة كبيرة من المجتمع الأوروبى الإقطاعي ، وكانت هذه الطبقة تعيش حياة قاسية تفتقر إلى الأمن والاستقرار. يضاف إلى ذلك أن الأراضي الزراعية قد خربت وأصابها البوار من جراء هجمات العناصر الشمالية ، كما خربت الجسور وغطت المياه جانباً من هذه الأراضي. والواقع إن الفلاحين عاشوا في غرب أوربا عيشة منحطة في ظل نظام الضيعة حيث شيدوا لأنفسهم أكواخاً من جذوع الأشجار وفروعها غطيت سقوفها وأرضيتها من الطين والقش دون أن تكون لها نوافذ أو بداخلها أثاث، عدا صندوق صغير من الخشب وبعض الأدوات الفخارية والمعدنية. وكان معظم أولئك الفلاحين من الرقيق والاقنان الذين ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالأرض التي يعملون عليها وقضوا حياتهم محرومين من أبسط مبادئ الحرية الشخصية ، فكل ما يجمعه القن يعتبر ملكاً خاصاً للسيد الاقطاعى لأن القن محروم حتى من الملكية الشخصية.

- - وهكذا ظلت الغالبية العظمى من الناس في غرب أوربا يحيون حياة شاقة مليئة بالذل والهوان وكان ذلك في الوقت الذى علت فيه الدعوة للحروب الصليبية. وقد وجد هؤلاء في هذه الدعوة فرصة سانحة للتخلص من الوضعية التى كانوا يرسفون فيها ، حيث كفلت لهم المشاركة في تلك الحروب تحقيق أمرين كانا غاية أى فلاح أوروبى معدم ؛ الأول التحرير من قيود عبودية النظام الاقطاعى. والثانى خلاص نفوسهم من الذنوب ، لأن البابوية وعدتهم بتكفير ذنوبهم إذا اشتركوا في هذه الحروب.

الدافع السياسي

- إذا كانت الفاقة والذل والحرمان هى التى دفعت الغالبية العظمى من الصليبيين إلى الترحيب بالدعوة الجديدة والمشاركة في الحركة الصليبية بحثاً عن حياة أفضل. فما الدافع الذى دفع عدداً كبيراً من ملوك أوربا وأمرائها وفرسانها إلى المشاركة ؟ هناك عدة أسباب تمثلت في:

١- كانت مشاركة ملوك الغرب الأوربى أمثال فردريك بربروسا ، ريتشارد قلب الأسد ، وغيرهم في الحروب الصليبية قد تم تحت ضغط البابوية وإلحاحها وتهديدها في بعض الأوقات، وكانت البابوية في هذا الوقت على درجة عظيمة من القوة والسلطان ، ولم يكن أى ملك من ملوك أوربا يستطيع أن يرفض لها طلباً وإلا تعرض للحرمان والطرد من الكنيسة ، بل وفقد عرشه كما حدث مع فردريك الثانى إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة عندما رفض القيام بحملة إلى الشرق.

٢- رأت الأسرات الأوربية الحاكمة فى ذلك العصر أن الاشتراك فى المشروع الصليبى كان من شأنه تدعيم النفوذ السياسى الداخلى لتلك الأسرات. وكان من نتيجة الخصومات والخلافات التى كان عليها الغرب الأوروبى من عداء بين انجلترا وفرنسا ، وبين ألمانيا والمدن الإيطالية وغيرها كل ذلك أدى إلى زيادة التنافس السياسى بين كافة القوى المشاركة فى ذلك المشروع.

٣- ساهمت الأوضاع السياسية فى بلاد الشرق الإسلامى والإمبراطورية البيزنطية إلى حد كبير فى قدوم الحملات الصليبية فقد كان العالم الإسلامى مقسماً إلى خلافات ودويلات ، فالخلافة العباسية السنية فى بغداد انتابها الضعف بعد الحركات الانفصالية التى سادتها ، ثم سيطرة بنى بويه ثم السلاجقة عليها. وفى مصر كانت الخلافة الفاطمية الشيعية قد انتابها الضعف أيضاً ، أما شمال الشام فقد كان دويلات صغيرة غير موحدة.

- أما عن الأوضاع السياسية فى الإمبراطورية البيزنطية فنجد أن الضعف بدأ يتسلل إلى هذه الإمبراطورية التى تولت الدفاع عن الغرب الأوروبى ضد هجمات المسلمين لفترة طويلة ، ولم تستطع مقاومة أعدائها خاصة السلاجقة الذين انتصروا عليها فى معركة مانزكرت ١٠٧١م.

- ويقال أن الإمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين قام بكتابة رسالة إلى البابا أوربان الثانى يستنجد فيها بالغرب الأوربى للتصدى لخطر السلاجقة ، لكن الدراسات التاريخية أثبتت عدم صحة هذه الرسالة.

- وظهرت هناك مدرستان حول هذا الخطاب وهما : أولاً المدرسة الألمانية ؛ وهى تنادى بصحة الخطاب ، وإنه إذا لم يكن الخطاب الذى وصلنا هو النص الأصلى فهو على الأقل صورة منه تحوى نفس المعنى وإن كان بأسلوب مغاير. ثانياً المدرسة الفرنسية ؛ وهى تعارض المدرسة الأولى وتنفى نفياً قاطعاً أن الكسيوس أرسل أى خطاب إلى البابا وأنصار هذا الرأى يقولون بأن البيزنطيين فوجئوا بوصول هذه الجيوش اللاتينية.

- وخلاصة القول أن هناك احتمالان لا ثالث لهما : إما أن هذا الخطاب صحيح أو غير صحيح فإذا كان قد صدر فعلاً من الكسيوس فهذا لا يعنى أكثر من طلب يد العون له من الغرب ، ولا يمكن تفسيره إطلاقاً بالدعوة الصريحة لإثارة حرب صليبية فهذه الفكرة غربية بحتة ، نبتت وترعرعت فى الغرب وتولتها البابوية برعايتها وعنايتها طوال مراحلها.

تدريبات

(١) استغل الأوربيون ما قام به الخليفة ------ من تدمير كنيسة الضريح المقدس للدعوة للحروب الصليبية.

(ا) عمر بن الخطاب (ب) هارون الرشيد (ج) المعتصم (د) الحاكم بأمر الله

(٢) كانت نسبة الصليبيين ..... المشاركين في الحملة الصليبية الأولى تفوق نسبة الوافدين من أي بلد آخر.

(ا) الفرنسيين (ب) الايطاليين (ج) الألمان (د) الإنجليز

(٣) كانت طبقة ..... في أوربا تكون نسبة كبيرة من المجتمع الأوربي الإقطاعي.

(ا) الملوك (ب) الفلاحين (ج) النبلاء (د) الاقطاعيين

المحاضرة الثالثة

❖ الحملة الصليبية الأولى (حملة العامة):

❖ مجمع كليرمونت

❖ حملة العامة

أسباب الحملة - قادة الحملة - موقف البابوية من الحملة:

طريق الحملة:

موقف الدولة البيزنطية من الحملة:

أحداث الحملة:

مجمع كليرمونت

- في عام ١٠٩٥م دعا البابا أوربان الثانى لعقد مجمع دينى فى مدينة كليرمونت جنوبى فرنسا. وبعد انتهاء جلسات المجمع خطب البابا خطبة مشهورة في الحاضرين دعاهم فيها للخروج في حرب صليبية ضد المسلمين في الشرق. وسرعان ما ركع أحد رجال الدين أمام البابا معلنا اشتراكه في الحروب الصليبية ليكون أول المتطوعين لها، وكانت هناك استجابة كبرى للحرب الصليبية فى كل من فرنسا وغرب ألمانيا وإيطاليا من جانب الأوساط الشعبية وصغار الأمراء.

وعلى الجانب الآخر كان رد فعل ملوك وأباطرة أوربا لدعوة البابا مغايراً تماماً أن لتلك الحالة التى سادت الأوساط الشعبية ؛ فقد تجاهلوا هذه الدعوة.

وقد تم الاتفاق على أن من يعلن تطوعه للحرب الصليبية، توضع أملاكه تحت حماية الكنيسة. وعليه أن يخيط صليبا على ملابسه علامة على نذره الخروج للحرب، وبالتالي لا يحق له التراجع في مشروعه. ومن هنا جائت التسمية (الحروب الصليبية)

❖حملة العامة

أسباب الحملة:

طلب البابا من رجال الكنيسة أن يدعوا للحرب الصليبية في كل مكان. وإلى جانب رجال الكنيسة الرسميين ظهر ما يعرف بالدعاة الشعبيين الذين أخذوا يتجولوا بين الناس للدعوة للحرب الصليبية، وكان الأكثر نجاحاً فى هذه الدعوة راهب متجول يدعى بطرس. وكان بطرس رجلاً متقدماً فى السن ، اشتهر فيما بعد بكنية " الناسك " ، بسبب غطاء الرأس الذى اعتاد أن يرتديه.

- ويبدو أن حماسة بطرس الناسك وفصاحته وهيئته الغريبة جعلته شخصية ذات تأثير خطير على جماهير العامة فى غرب أوربا ، بحيث أنهم لا يكادون يستمعون لخطبه البليغة حتى تغلب عليهم الحماسة فيجتمعون فى سرعة ويشرعون فى الزحف صوب الشرق، بعيدا عن الجيوش الرسمية المدربة.

ولم يكن بطرس الناسك هو وحده بل تبعه دعاة شعبيون آخرون مثل فولكمان، وجوتشلك، وأميخ، ووالتر المفلس. وجميعهم حذوا حذوه في الدعوة الشعبية.

كان معظم المشاركين في حملة العامة بأقسامها هم من الفلاحين والنساء والأطفال، ولم يكن من بينهم جنودا مدربين منظمين منضبطين، ولذلك فشل بطرس الناسك وغيره من القادة في السيطرة علىيهم خلال سيرهم.

ولما يكونوا مجهزين بما يلزم من مؤن وغيره فقد مالوا إلى السلب والنهب من الأراضي المسيحية التي مروا بها عبر الطريق.

موقف البابوية من الحملة:

دعت البابوية لخروج الحملة لكنها كانت تؤيد مشاركة الملوك والأمراء وليس عامة الشعب ، والشكل الذى تمت به الحملة لم يعط البابا والأمراء أية فرصة لتنظيم الحركة الصليبية تنظيماً جدياً من الناحيتين السياسية والحربية. فمعظم من خرج لم يكن مدرباً عسكرياً، بل خرج فقط لظروفه الخاصة، ولم يعرف أي تدريب أو انضباط عسكري.

طريق الحملة:

اتخذت الحملة الطريق البري من فرسنا وألمانيا براً نحو المجر ثم الدولة البيزنطية، وذلك لعدم امتلاكها أي سفن للعبور في البحر..

حملة العامة واليهود في أوروبا

في خلال تحرك جموع المشاركين في حملة العامة قام المشاركون فيها بمهاجمة اليهود والمعابد اليهودية، خصوصا وأن اليهود كانوا من كبار المرابين في أوروبا.

تدخل اليهود ودفعوا رشاوي للأمراء وكبار رجال الدين لصرف أنظار الصليبيين المتحمسين بعيدا عنهم.

موقف الدولة البيزنطية من الحملة:

- على الجانب الآخر كانت الإمبراطورية البيزنطية تستعد لاستقبال هذه الأفواج الغفيرة القادمة من ووجد الإمبراطور الكسيوس نفسه فى موقف حرج ، فبعد أن كان يرغب فى الحصول على بعض المرتزقة من الغرب للدفاع عن إمبراطوريته، ها هى جيوش غربية بكاملها تتحرك ، فلم يسعده ذلك لعلمه من واقع التجربة أن الفرنج جنس مزعزع ذو شراهة للمال ولا ضمير له فى حفظ العهد.

- وشرع الإمبراطور البيزنطي الكسيوس فى ترتيب خطوات لحماية دولته:

- فأولا: خصص فرقة عسكرية لمرافقة كل فرقة صليبية حال وصولها داخل الإمبراطورية واصطحابها إلى القسطنطينية.

- ثانيا: كان لابد من إطعام جيوش الحملة أثناء عبورها الإمبراطورية ، ويتعين اتخاذ الاحتياطات اللازمة حتى لا ينهبوا الريف، فكدست المؤن فى مخازن فى كل مركز رئيسى من المراكز التى سيمرون بها.

- وكان هناك طريقان كبيران يعبران الدولة البيزنطية، وكان مسافرو الغرب نادراً ما يستخدمون الطريق الأول ، ولذا توقع أن تستخدم جيوش الصليبيين الطريق الثانى ، فأرسل المؤن للمدن التى تقع على الطريق الثانى، كما صدرت الأوامر لحاكم المنطقة أن يظهر الود فى ترحيبه بالصليبيين، وأن يضعهم تحت مراقبة الجيش البيزنطي طوال الوقت.

- - ولكن حضر رسول فجأة من الشمال حاملاً البريد بوصول أول جيش من جيوش الصليبيين عبر الطريق الأول. وبالطبع لم تكن لدى الحامية البيزنطية ما يكفى من المؤن لإطعام هذه الجموع، وكانت النتيجة الحتمية لذلك فقدان أتباع والتر صوابهم وأخذوا فى نهب القرى والسكان. وعندما بدأ السلب والنهب لجأ الحاكم إلى السلاح ، وقتل العديد من رجال والتر ، وحرق آخرون وهم أحياء فى إحدى الكنائس.

- - ومع مطلع شهر أغسطس وصل بطرس إلى أسوار القسطنطينية وقد أصدر الإمبراطور أوامره بسرعة نقل جنود الحملة عبر مضيق البسفور إلى الشاطئ الأسيوى، وإن كان قد حرص على نصح بطرس

بالانتظار وعدم محاولة الهجوم قبل أن تأتى الجيوش الصليبية الرئيسية، وبرغم اقتناع بطرس بهذه النصيحة ، لكنه فشل فى إقناع كبار قادة حملته بها .

❖أحداث الحملة:

- توغلت الحملة فى المناطق الخاضعة لسلطة السلاجقة فى آسيا الصغرى، وعندما علم السلطان السلجوقى قلج أرسلان بذلك بادر بالاستعداد للتصدى لهذه القوات. وقد اغتنم السلاجقة الفوضى التى عمت القوات الصليبية الغير مدربة أصلا واستطاعوا أن يستدرجوهم بعد أن أظهروا الفرار ، والتقط الصليبيون الطعم وهاجموا فلول السلاجقة الذين سرعان ما نظموا صفوفهم وتصدوا للصليبيين وأوقعوا بهم هزيمة ساحقة سقط خلالها الكثير من الصليبيين وقادتهم.
- وهكذا تم تدمير القسم الأول من الحملة الصليبية الأولى المعروف باسم «حملة العامة»، ولم يبق من أفرادها سوى القليل بعد أن سحقتهم قوات سلاجقة الروم المسلمين.
- وظل من بقي في انتظار وصول الجيوش الرئيسية للحملة الصليبية.

تدريبات

(١) تم عقد مجمع كليرمونت في دولة .....

(ا) فرنسا (ب) إيطاليا (ج) النمسا (د) اسبانيا

(٢) لُقب بطرس بالناسك بسبب ....

(ا) فقره (ب) غطاء رأسه (ج) جنسيته (د) عمله

(٣) كانت القوة الإسلامية التي واجهت حملة العامة هي.....

(ا) الفاطميين (ب) الأيوبيين (ج) السلاجقة (د) العباسيين

المحاضرة الرابعة

❖ الحملة الصليبية الأولى (حملة الأمراء):

❖ قادة الحملة:

❖ موقف البابوية من الحملة:

❖طريق الحملة:

❖موقف الدولة البيزنطية من الحملة:

❖أحداث الحملة:

❖ نتائج الحملة:

حملة الامراء

❖ قادة الحملة:

انقسمت الحملة إلى أربعة مجموعات كان على قيادتها كل من:

المجموعة الأولى: الأمير جودفرى دي بوايون أمير اللورين وأخيه بلدوين.

المجموعة الثانية: بوهيموند النورماني.

المجموعة الثالثة: ريموند سان جيل كونت تولوز برفقة المندوب البابوي ادهمار.

المجموعة الرابعة: (أمراء أصغر وأقل أهمية) روبرت دوق نورماندى وصهره ستيفن كونت بلوا.

موقف البابوية من الحملة: كان الأمراء الغربيون الذين قرروا تلبية دعوة البابا أوربان الثاني أكثر صبراً وخبرة عسكرية من بطرس وأصدقائه، وكانوا على استعداد للالتزام بالجدول الزمنى الذى وضعه البابا. وقد أرسلت البابوية مندوبا عنها مع المجموعة الثالثة من الحملة.

❖ طريق الحملة:

سلك معظم أمراء الحملة نفس طريق حملة العامة عبر فرنسا والمجر حتى حدود الدولة البيزنطية. أما حملة بوهيمند فاتجهت من ايطاليا بحرا إلى أراضي الدولة البيزنطية حيث تجمعت كلها هناك.

❖ موقف الدولة البيزنطية:

- عند وصول هؤلاء الأمراء اضطر الامبراطور البيزنطي الكسيوس إلى الإعلان عن سياسته تجاههم فقد اقتنع من المعلومات التى توفرت لديه، أنه مهما تكن الأسباب الرسمية المعلنة للحرب الصليبية ، فإن الهدف الحقيقى للصليبيين هو أن يحصلوا على إمارات فى الشرق.

❖ موقف الدولة البيزنطية:

- وأراد التأكد من أنه سيكون من الواضح أنه السيد الأعلى لأية دولة قد تنشأ ، ولعلمه أن الولاء فى الغرب يؤخذ بقسم غليظ ، فقد قرر أن يطلب من جميع القادة الغربيين أن يقسموا له يمين الولاء كى يساندهم فى غزواتهم المقبلة. ولكى يضمن التزامهم القسم كان على استعداد أن يغمرهم بعطاياه وإعاناته مما يؤكد ثرائه ومجده فلا يشعرون انتقاصاً لكرامتهم إذا ما أصبحوا رجال الإمبراطور.

- وقد رفض جودفرى فى البداية أن يقسم ، وأدى هذا الرفض بالطبع إلى غضب الكسيوس فأمر بوقف إمدادات الحملة ، وبينما تردد جودفرى فى الإغارة على ضواحى القسطنطينية، شرع أخوه بلدوين على الفور فى ذلك حتى أجبر الكسيوس على معاودة الإمدادات مرة أخرى.

❖ موقف الدولة البيزنطية:

- وحينما علم الإمبراطور البيزنطى بقرب وصول الجند النورمانى بقيادة بوهيموند أمر بمنع التموين من جديد عن القوات الصليبية ، وذلك تحسباً منه أن يتحد الاثنان فى مواجهته ويمتنعا عن أداء يمين التبعية له . وعلى الفور أمر جودفرى جنوده بمهاجمة أسوار القسطنطينية ، وهنا تدخل الجيش البيزنطى بقوة ولم يستطع جنود جودفرى مواجهة هذا الجيش المنظم فجنحوا نحو المسالمة، واضطر جودفرى ومن معه من الأمراء بالإذعان للإمبراطور البيزنطى وأداء قسم الولاء له.

- كانت المجموعة الصليبية الثانية فى حملة الأمراء بقيادة بوهيموند النورمانى؛ وكانت الإمبراطورية البيزنطية على جانب كبير من الخوف منها خاصة أن النورمان كانوا أقوى أعدائها وأخطرهم ، لذلك أقسم بوهيموند للإمبراطور البيزنطى حتى يطمئنه.

❖ موقف الدولة البيزنطية:

- وقد استقبل الكسيوس ريموند قائد المجموعة الثالثة استقبالاً حسناً ، وطلب منه كسابقيه أداء يمين الولاء له لكنه رفض رفضاً قاطعاً بحجة أنه خرج لخدمة السيد المسيح ولا يجوز أن يخضع لسيد غيره ، وصار الموقف يهدد بحرب من الطرفين. وخلال هذا الموقف انحاز بوهيموند إلى جانب الإمبراطور البيزنطى وحاول كل من جودفرى وادهمار رأب الصدع فى العلاقات بين ريموند والإمبراطور البيزنطى ، وتمخض الموقف عن امتناع ريموند عن أداء يمين الولاء للإمبراطور ووافق بدلاً من ذلك على أن يقسم على احترام حياة الإمبراطور وشرفه .

❖ موقف الدولة البيزنطية:

- أما المجموعة الرابعة فلم تشكل أية صعوبات للإمبراطورية البيزنطية ، ولم يمانع قائديها من أداء يمين الولاء للإمبراطور، ومن ثم حظيا بالرضا الإمبراطورى وكذا بالهدايا والمنح والمؤن والأموال.

- أحداث الحملة:

- وهكذا تجمعت جيوش المجموعات الأربع ، وقررت مهاجمة مدينة نيقية عاصمة السلاجقة ، فكان لابد من الاستيلاء عليها فى ظل تفوقهم العددى والمساندة البيزنطية.

❖ أحداث الحملة:

- وقد اختيرت لحظة الهجوم على نيقية اختياراً موفقاً ؛ إذ كان السلطان السلجوقى قلج أرسلان الأول بعيداً عنها. ولم يأخذ قلج أرسلان هذا التهديد الجديد القادم من الغرب مأخذ الجد ؛ إذ سبق وهزم حملة العامة بغاية اليسر ، فتعلم أن يحتقر الصليبيين. واستبعد قلج أن يتوغل الصليبيون إلى نيقية استبعاداً تاماً فترك زوجته وأمواله فى المدينة ، ولم يحرك ساكناً إلا عندما جاءته الأنباء باقتراب الصليبيين من عاصمته، فأرسل جزء من جيشه على عجل حتى يتدبر أموره ، لكن جنوده وصلوا متأخرين بحيث لم يتمكنوا من منع حصار الصليبيين لنيقية.

❖ أحداث الحملة:

- ضرب الصليبيون حول نيقية حصاراً محكماً بفضل كثرتهم العددية وحاول السلاجقة كسر هذا الحصار دون جدوى خاصة مع استمرار الإمدادات البيزنطية للصليبيين براً وبحراً ، وبعد أكثر من سبعة أسابيع قرر السلاجقة تسليمها إلى الإمبراطور البيزنطى دون الصليبيين. وواصل الصليبيون بعدها تقدمهم بنجاح فى آسيا الصغرى وهزموا السلاجقة فى عدة معارك.

تأسيس إمارة الرها:

- كان الأمير بلدوين يطمح فى تكوين أول إمارة صليبية فى الرها بمساعدة الأرمن الذين ارتبط معهم بصداقة وطيدة ، ساعده على ذلك أن حاكم الرها الأرمنى ثوروس طلب مساعدته فى الوقوف فى وجه السلاجقة ، ليس هذا فحسب بل قام ثوروس ، وكان رجلاً مسناً دون وريث بإعلان تبنيه للقائد الصليبى الشاب. لذلك تخلى بلدوين عن الحملة وبقى فى الرها.

- ولم يمض وقت طويل حتى اندلعت ثورة ضد ثوروس طالب خلالها الثوار الحاكم الأرمنى بالتخلى عن الحكم للأمير بلدوين ، وقد تحقق للثوار ما أرادوا بل وفوق ذلك اغتيل ثوروس ، وبذلك انفرد بلدوين بحكم مدينة الرها . ولم تبعد أصابع الاتهام عن القائد الصليبى الشاب الطامح لتكوين أول إمارة صليبية فى الشرق فى تدبير أحداث هذه الثورة التى أتاحت له فى النهاية الفرصة أن يحقق الأمل الذى كان يطمح إليه.

تأسيس إمارة أنطاكية:

- نعود مرة أخرى للجزء الرئيسى من الحملة الصليبية الأولى التى ولت وجهها شطر أنطاكية ، حيث كانت أنطاكية هى مفتاح شمال الشام، لذا كان لابد للصليبيين من الاستيلاء عليها فبدأوا فى ضرب الحصار حولها. وكان حاكمها (ياغي سيان) فى هذه الفترة يحاول أن يتخذ من التدابير العسكرية ما يمكنه من التصدى للغزاة الصليبيين ، لذلك أرسل لجيرانه من الحكام المسلمين يطلب المساعدة لكن دون جدوى.

- استمر حصار الصليبيين لأنطاكية حوالى تسعة أشهر حتى سقطت فى مطلع يونيه ١٠٩٨م ، وأوقع الصليبيون بأهلها المسلمين مذبحة مروعة. وبعد أن دانت أنطاكية لنفوذ الصليبيين اختلفوا فيما بينهم حول من يتولى أمرها ، وبعد نزاع وشد وجذب انفرد بوهيمند بحكم تلك الامارة الثانية بعد أن لعب الدور الأكبر في السيطرة علي تأسيس إمارة بيت المقدس:

- - وبعد أن انتهى الصليبيون من أعمال القتل طفت على السطح مشكلة جديدة ، وهى اختيار حاكم للمدينة المقدسة. وقد حدث نزاع حول من يستحق هذه السلطة ؛ فقد أرادتها البابوية كجزء من مخططها للسيطرة على الكنيسة الشرقية. كما أبدت المدن الإيطالية أطماعها بعد قيامها بنقل جنود الحملة على متن سفنها. كذلك الإمبراطور البيزنطى الذى كان يطمع فى استعادة أملاكه فى الشرق. لكنهم اتفقوا أخيراً على أن يكون جودفرى حاكماً (رفض لقب ملك) عليها. لكن الأخير سرعان ما توفى، وتم استدعاء أخيه بلدوين من إمارة الرها ليتولى حكم بيت المقدس خلفاً لأخيه. حيث توج ملكا على

بيت المقدس، وهكذا قامت مملكة بيت المقدس اللاتينية التى ضمت بجانب القدس ، يافا والرملة وبيت لحم والخليل.

- تأسيس مملكة بيت المقدس:

- بعد استيلاء الصليبيون على أنطاكية خلا لهم الطريق نحو بيت المقدس،

- ترك الجيش الصليبي بلدوين في إمارته في الرها ، وبوهيمند في إمارته في أنطاكية وتحرك باقي الجيش إلى بيت المقدس.

- ضرب الصليبيون حصاراً محكماً حول أسوار المدينة . وكانت المدينة فى تلك الفترة خاضعة للنفوذ الفاطمى وحاول حاكمها الفاطمى افتخار الدولة تنظيم الدفاع عنها ولكن دون جدوى لشدة الحصار الصليبى. واستمر الحصار طيلة شهر كامل مابين هجوم قوى من الصليبيين ودفاع مستميت من المدينة حتى سقطت فى النهاية فى أيدى الصليبيين فى رجب ٤٩٢هـ/ مايو ١٠٩٩م. وقد استباح الصليبيون المدينة وأوقعوا بأهلها مذبحة مروعة.

- تأسيس إمارة طرابلس:

- - وخلال تلك الفترة قرر ريموند ترك جنوب الشام والتوجه نحو شمالها بعد أن انتزع منه بوهيموند أنطاكية ، وجودفرى بيت المقدس ، وفشله فى تكوين إمارة هناك بسبب منافسة الأمراء الصليبيين.

- - وقام بمحاصرة طرابلس حتى تكتمل الإمارة ، ولتنفيذ هذا الأمر أقام ريموند فى مواجهة مدينة طرابلس قلعة كبيرة حتى يحكم حصارها ، لكن رغم كل هذه الاستعدادات كان اقتحام المدينة أمراً عسيراً بعيد المنال بسبب وضعها الحصين ؛ إذ كانت تقع على لسان بحرى جعل من السهل على أهلها الحصول على المؤن من البحر ، وصار من الصعب حصارها إلا بأسطول قوى غير متوفر له. لذلك استمر حصار المدينة ست سنوات مات خلالها ريموند متأثراً بجراحه.

- تأسيس إمارة طرابلس:

- - بعد وفاة ريموند استمر الصليبيون ، بقيادة قريبه وليم جوردان فى محاصرة المدينة ، وتحول الأمر إلى حصار برى وبحرى أدى فى النهاية إلى استسلام المدينة عام ١١٠٩م ، فى مقابل تأمين حياة أهلها وممتلكاتهم لكن الصليبيون لم يحترموا تلك الشروط وأعملوا القتل والنهب فى المدينة. وهكذا سقطت المدينة لتضاف إلى الممتلكات المجاورة لها لتكون الإمارة الرابعة فى الإمارات الصليبية بعد

الرها وأنطاكية وبيت المقدس. وحكمها وليم وإن لم تستمر فترة حكمه طويلاً بعد قتله فى ظروف غامضة.

- نتائج الحملة الصليبية الأولى:

- ١- نجحت الحملة الصليبية الأولى فى تأسيس ثلاث إمارات ومملكة صليبية فى بلاد الشام والتمهيد للوجود الصليبي هناك لفترة تتجاوز عدة قرون.

- ٢- أدت بعد ذلك إلى محاولة القوى الإسلامية فى الشام توحيد صفوفها من أجل مواجهة هذا الغازى الجديد.

تدريبات

(١) كانت امارة.....أول امارة أسسها الصليبيين في بلاد الشام

(ا) الرها (ب) طرابلس (ج) انطاكية (د) بيت المقدس

(٢) كانت حملة الأمراء تتكون من .... مجموعات

(ا) ٣ (ب) ٤ (ج) ٥ (د) ٦

(٣) ماهي النتائج التي ترتبت على الحملة الصليبية الأولى؟

المحاضرة الخامسة

❖ الحملة الصليبية الثانية:

❖ عماد الدين زنكى واسترداد الرها:

❖ أسباب الحملة:

❖ موقف البابوية من الحملة:

❖طريق الحملة:

❖موقف الدولة البيزنطية من الحملة:

❖أحداث الحملة: ❖ نتائج الحملة:

❖ الحملة الصليبية الثانية:

❖ مولد المقاومة الإسلامية:

كان من نتائج الحملة الصليبية الأولى مولد مقاومة إسلامية حاولت التصدى للوجود الصليبى فى بلاد الشام وتحاول استرداد الإمارات الصليبية الأربعة. وقد تزعم هذه المقاومة السلاجقة وأتباعهم من الأتابكة خاصة أتابكة الموصل. (أتابك لقب تركي يعني والد الأمير)

❖ عماد الدين زنكى واسترداد الرها:

بعد تعيين عماد الدين زنكى اتابكا على الموصل فكر فى استرداد الرها وكان لديه عدة أسباب لتحقيق ذلك وهى:

١- كانت الرها تشكل خطراً كبيراً على خطوط المواصلات الإسلامية بين الموصل وحلب ، وبين بغداد وسلاجقة الروم فى آسيا الصغرى.

٢- التنافس الشديد بين ريموند دى بواتييه أمير أنطاكية وجوسلين الثانى أمير الرها وهو التنافس الذى لم يلبث أن انقلب إلى عداء مرير.

❖ عماد الدين زنكى واسترداد الرها:

- وإذا كان أميرا أنطاكية والرها قد اضطرا للتعاون لدفع خطر المسلمين، فإن ذلك التعاون إنما تم تحت ضغط ملوك بيت المقدس الأقوياء مثل بلدوين الثانى وفولك. ولكن وفاة الأخير وتنصيب صبى قاصر على عرش مملكة بيت المقدس، جعل أميرى أنطاكية والرها فى حل من أن يكشفا النقاب عن حقيقة شعورهما نحو بعضهما البعض دون أن يخافا سطوة ملك كبير، وكانت تلك الظروف فى صالح زنكى وطموحاته التوسعية.

٣- كانت الرها دون غيرها من الإمارات الصليبية الإمارة الأقرب إلى مركز نشاطه بالقرب من مقر الخلافة.

❖ عماد الدين زنكى واسترداد الرها:

٤- خلال تلك الفترة طلب السلطان مسعود السلجوقى من زنكى أن يحضر إلى بغداد ليكون فى خدمته ولم يكن زنكى راغباً فى ذلك فاعتذر للسلطان عن تلبية طلبه ، وعلل ذلك بانشغاله بأمر الصليبيين المجاورين لممتلكاته فقبل السلطان عذره مشترطاً عليه فتح الرها. ولم يكن زنكى فى حاجة إلى شرط السلطان السلجوقى لفتح الرها ، إذ كان هذا الأمر من أبجديات سياسته الحربية.

٥- ساعد زنكى على المضى فى مخططه طبيعة خصمه المباشر ، ونعنى به جوسلين الثانى حاكم الرها ؛ فقد كان الأخير يميل إلى حياة الراحة والهدوء ، لذا تخلى عن الإقامة فى مدينة الرها وفضل عليها تل باشر، لكى يكون بعيداً عن القلق الذى يحيط بإمارته. وفى مقره الجديد مارس حياة مليئة باللهو والترف والفراغ.

❖ عماد الدين زنكى واسترداد الرها:

- وقد انتهز زنكى فرصة خروج جوسلين من الرها إلى تل باشر كعادته وقرر حصار الرها. وأرسل إلى أهلها يطلب تسليم المدينة مقابل أن يؤمن لهم حياتهم وأموالهم ولكنهم رفضوا. وأدى هذا الرفض إلى تشدد زنكى فى حصار المدينة ، فقد كان يدرك أن مرور الوقت ليس فى صالحه، وأن عليه أن يسرع فى تضييق الخناق على أهلها قبل وصول أية مساعدات صليبية لها.

- وكانت الأخبار قد بلغت جوسلين بما أقدم عليه زنكى فسارع بالعودة لفك هذا الحصار ودخول المدينة ، لكنه فشل بسبب شدة الحصار الذى فرضه زنكى على المدينة. لذلك لم يجد مفراً من طلب العون من القوى الصليبية المجاورة له فى بلاد الشام ، فسارع بطلب النجدة من مملكة بيت المقدس وإمارة

أنطاكية. وفى الوقت الذى لم يستجب فيه ريموند حاكم أنطاكية لنداءات جوسلين وأعرض عنه ، استجابت مملكة بيت المقدس وقررت إرسال جيش لمساندة جوسلين ، لكن الجيش وصل متأخراً جداً.

❖ عماد الدين زنكى واسترداد الرها:

- وأخيراً سقطت الرها أمام ضربات جيش زنكى المتلاحقة وحصاره القوى ، حدث هذا دون أن يتقدم جيش صليبي واحد لنجدة الرها. وكانت خسائر الجانب الصليبي كثيرة سواء في الغنائم أو الأرواح ، ولما دخل زنكى المدينة لم ينتقم إلا من الصليبيين الكاثوليك الذين تزعموا المقاومة ، في حين أبدى مرونة فائقة فى التعامل مع سكان المدينة الأرمن وأبقى على كنائسهم ، كما عفى عن رجال قلعة المدينة برغم مقاومتهم حتى النهاية مما أدى لسريان الهدوء في المدينة.

❖ أسباب الحملة:

- أدى سقوط الرها إلى رد فعل عنيف في أوروبا ، لا بسبب المكانة الدينية التي تمتعت بها هذه المدينة فى تاريخ المسيحية فحسب؛ بل لأنها كانت أيضاً أول إمارة أسسها الصليبيون فى الشرق فجاء سقوطها إيذاناً بترنح البناء الصليبي الكبير الذى نجحت الحملة الصليبية الأولى في إقامته بالشرق. لذلك أدرك الغرب الأوروبي أنه إن لم يسرع إلى ترميم ذلك البناء ومساندته فإنه لم يلبث أن ينهار بأكمله.

❖ أسباب الحملة:

- أدى سقوط الرها إلى رد فعل عنيف في أوروبا ، لا بسبب المكانة الدينية التي تمتعت بها هذه المدينة في تاريخ المسيحية فحسب ؛ بل لأنها كانت أيضاً أول إمارة أسسها الصليبيون في الشرق فجاء سقوطها إيذاناً بترنح البناء الصليبي الكبير الذى نجحت الحملة الصليبية الأولى في إقامته بالشرق. لذلك أدرك الغرب الأوروبى أنه إن لم يسرع إلى ترميم ذلك البناء ومساندته فإنه لم يلبث أن ينهار بأكمله.

❖ موقف البابوية من الحملة:

بعد سقوط الرها تم إرسال رسول على وجه السرعة للمقر البابوى. وقد تلقى البابا يوجينيوس الثالث هذا النبأ بالغضب وقرر الدعوة إلى حرب صليبية ثانية لاسترداد الرها وإنقاذ الكيان الصليبى فى الشرق ، لكن البابوية لم تكن في وضع يهيئ لها توجيه الحركة الصليبية مثلما سبق، إذ لم يستطع البابا دخول روما منذ أن تولى البابوية، ولم يكن بوسعه حتى وقتذاك أن يطوف بالبلاد الواقعة وراء جبال الألب.

❖ قيادة الحملة:

- يبدو أن فكرة الحملة الصليبية الثانية نبتت فى بلاط لويس السابع ملك فرنسا، وهو الملك المعروف بورعه وتقواه. وقد استجاب لها أيضاً الإمبراطور كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا. وكان من قبيل الحظ الطيب أن ارتبط البابا بعلاقات ودية مع هذين العاهلين الكبيرين. ذلك أن كونراد كان يدين بتوليه العرش إلى ما تلقاه من مساعدة من قبل الكنيسة، وقام بتتويجه المندوب البابوى. أما لويس السابع فكانت علاقته قوية بالبابا بعد اشتهر بتقواه وابتعاده عن النزوات التي انغمس فيها في بداية حياته، لذلك حرص على علاقته الطيبة بالبابا. لذلك استغل يوجينيوس هذه العلاقات وطلب من الملكين الخروج في حملة صليبية جديدة إلى الشرق.

❖ موقف الدولة البيزنطية من الحملة:

- ما لبث الإمبراطور البيزنطى مانويل الأول كومنين أن فعل مع الملكين مثلما فعل سلفه الكسيوس مع كبار فرسان الحملة الأولى ، فطلب منهما أن يحلفا له يمين الولاء ، ففعلا ، ولكن ضد رغبتيهما.

❖ طريق الحملة:

- لم يتفق الملكان على خطة عسكرية موحدة ، فاتجه كونراد بمفرده إلى بلاد الشام حيث منى بهزيمة ساحقة على أيدى السلاجقة خلال مروره بأراضي السلاجقة في آسيا الصغرى. ورغم أن لويس سارع إلى نجدة كونراد، إلا أن الأخير قرر فجأة أن يعاود أدراجه إلى بيزنطة ثم توجه منها إلى بيت المقدس مباشرة.

- ❖ أحداث الحملة:

- - حينما وجد الملك الفرنسى نفسه وحيداً قرر أن يتفادى السلاجقة ، لكنه لم يستطع بعد أن تمكنوا من قطع خطوط تموينه وتدمير جزء كبير من جيشه، مما اضطره فى النهاية أن يذهب إلى أنطاكية. وفى أنطاكية حدث ما لم يتوقعه الملك الفرنسي المتدين، حيث فوجئ بتقارب مريب بين زوجته وحاكم أنطاكية، وزاد فى شكه أن الأخير اقترح عليه أن يتجه مباشرة لاسترداد الرها ويترك زوجته فى أنطاكية. وهنا طرح الملك الفرنسى مسألة الرها جانباً وقرر أن يسير إلى بيت المقدس ليرى ما ينويه كونراد.

❖ أحداث الحملة:

وسرعان ما اتضح أن أمراء أنطاكية والرها وطرابلس لم يكونوا وحدهم الذين طمعوا فى استغلال هذه الحملة لتحقيق مكاسب خاصة، بل أن مملكة بيت المقدس نفسها طمعت فى استغلال هذه الحملة فى الاستيلاء على دمشق. وهكذا حادت الحملة الصليبية الثانية عن هدفها الأساسي الذى أتت من أجله إلى الشرق ، وهو القضاء على الزنكيين واستعادة الرها وشمال الشام ، وجنحت نحو مساعدة مملكة بيت المقدس التى كانت فى حقيقتها أقل الوحدات الصليبية فى الشرق تعرضاً لضغط المسلمين عندئذ.

❖ أحداث الحملة:

وكان اتجاه قادة الحملة الثانية لمهاجمة دمشق بمساندة مملكة بيت المقدس يبدو غريباً ليس في تجاهله للهدف الذى جاءت من أجله الحملة وهو استرداد الرها فقط ، ولكن فى دعم مملكة بيت المقدس لمهاجمة دمشق برغم أن أتابكها معين الدين كان حليفاً مميزاً لها. ويرجع ذلك إلى:

- ١- يبدو أن الصليبيين رأوا أن غزو دمشق سيحول دون تحالف إسلامي بين شمال الشام ووسطه
- ٢- قربها من القدس سيسهل احتلالها حيث لن توجد حينذاك خطوط تموين طويلة للقوات الصليبية
- ٣- يمكن بعد الاستيلاء عليها تكوين امارة صليبية جديدة أو حتى ضمها لمملكة بيت المقدس لتوسيع الممتلكات الصليبية بهذه المدينة الكبيرة والشهيرة.

- وفى ظل هذه الأوضاع أصيبت الجبهة الإسلامية بضربة قوية بعد مقتل عماد الدين زنكى وقد قدر لابنه نور الدين أن يخلف والده فى حمل لواء التصدى للصليبيين ومحاولة توحيد الجبهة الإسلامية. وأدرك نور الدين أن التصدى للصليبيين يتطلب توحيد الجبهة الإسلامية فى بلاد الشام حتى لا تتشتت قواها فتعجز عن تحقيق انتصارات قوية ضد الصليبيين. وكان أول ما فكر فيه نور الدين هو ضم أتابكية دمشق إلى ممتلكاته لعدة أسباب منها:

- ١- باعتبارها أهم مراكز بلاد الشام من الناحية الاقتصادية
- ٢- باعتبارها أهم المنافسين السياسيين له فى المنطقة.
- ٣- كما أن خط الدفاع عن حلب والموصل كان يبدأ منها.

- ❖ موقف القوى الإسلامية:

- - وقد فكر فى البداية فى استخدام الطرق السياسية فتزوج ابنة معين الدين أتابك دمشق ، لكن هذه المصاهرة لم تحقق له ما يريد خاصة فى ظل حرص أتابكة دمشق على التحالف مع مملكة بيت المقدس الصليبية خوفاً من أطماع البيت الزنكى.

- - وأمام تحول الحملة نحو دمشق لم يجد معين الدين مفراً من طلب العون من البيت الزنكى، ولكنه تصرف بمهارة ومكر، فتغافل عن طلب نور الدين محمود دخول دمشق نفسها ، وفي الوقت نفسه أرسل للصليبيين يهددهم بنور الدين محمود ، ويغريهم بالمال لرفع الحصار.

- ❖ موقف القوى الإسلامية:

- - استمر حصار الصليبيين لدمشق طيلة خمسة أيام لكن دون جدوى وفشل لعدة أسباب هى:

- ١- الدفاع المستميت للدماشقة عن مدينتهم ودعم نور الدين لهم

- ٢- الخلافات التى دبت فى المعسكر الصليبى ؛ فلم تتوقف المخاصمات والمشاحنات بين الفرسان الفرنسيين والألمان

- ٣- والأهم هو أن احتمال فتح دمشق لم يكن يطيب للقسم الأبعد نظراً من بارونات مملكة بيت المقدس ، فقد رأوا أن تحسين العلاقات مع دمشق واستغلال خلافات حكامها مع آل زنكى يبدو أفضل بكثير من استيلاء الصليبيين عليها.

- ❖ نتائج الحملة:

- - وهكذا فشلت الحملة الثانية فى تحقيق أهدافها بل أدت لنتائج عكسية:

- ١- انحطت هيبة الصليبيين ومكانتهم بالشام

- ٢- زاد نفوذ المسلمين وارتفعت روحهم المعنوية وبعد أن كان أمراء المسلمين فى آسيا الصغرى والشام والعراق فى خوف دائم من وصول حملة صليبية جديدة من الغرب تتكل بهم، وتستولى على حلب ودمشق كما استولت الحملة الأولى على الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس. جاءت الحملة الثانية وتعرضت للفشل، وأتضح للمسلمين أنهم كانوا يخشون أوهاماً كاذبة ، وأن الصليبيين أضعف من أن يقوموا بجهد جدى ضد المسلمين.

- ٣- تشجعت القوى الإسلامية فى الشرق الأدنى وبدأت تغير على ما جاورها من أملاك الصليبيين وتسترد ما سبق أن فقده المسلمون . لذلك لا عجب إذ قرر بعض المؤرخين أن فشل الحملة الصليبية الثانية يعتبر نقطة تحول خطيرة فى تاريخ الحروب الصليبية ، وفى تاريخ الصليبيين فى الشرق الأدنى.

تدريبات

- (١) نبتت فكرة الحملة الصليبية الثانية نبتت فى بلاط لويس....

- **(ا) الخامس (ب) السادس (ج) السابع (د) الثامن**

- (٢) كان من أسباب الحملة الصليبية الثانية هو سقوط إمارة .....

- **(ا) الرها (ب) طرابلس (ج) انطاكية (د) بيت المقدس**

- (٣) ماهي النتائج التي ترتبت على الحملة الصليبية الثانية؟

المحاضرة السادسة

ظهور صلاح الدين الأيوبى

كانت بداية ظهور صلاح الدين على مسرح الأحداث حين صحب عمه شيركوه فى الحملة التى أرسلها نور الدين محمود على مصر حين وقع النزاع بين وزيرين مصريين : أحدهما اسمه ضرغام ، والآخر اسمه شاور ، وقام الأول بطرد الأخير من مصر فاتجه بدوره يطلب المعونة من نور الدين فى مقابل أن يحكمها باسمه ويكون له ثلث خراجها .

انتهز نور الدين الفرصة وسارع بإرسال جيش إلى مصر بقيادة شيركوه ، وبعد مناورات بين نور الدين والوزير شاور وعمورى حاكم مملكة بيت المقدس خضعت مصر لسلطة نور الدين. وبعد ذلك تولى شيركوه الوزارة للخليفة الفاطمى العاضد ، وقام بدوره بتفويض ابن أخيه صلاح الدين فى إدارة شئون مصر.

لكن شيركوه لم يلبث فى الوزارة طويلاً ، فقد توفى بعد شهرين من توليه إياها وكان من الطبيعى أن يخلفه صلاح الدين على الرغم من امتعاض بعض قادة جيش نور الدين.

- وكانت أول مهمة ملقاة على عاتقه هى رغبة نور الدين فى إعادة المذهب السنى لمصر وعزل الخليفة العاضد ، فكتب إلى صلاح الدين يطلب منه قطع الخطبة للخليفة الفاطمى وجعلها للخليفة العباسى بعد أن طلب منه الخليفة العباسى ذلك شخصياً.

وصار المطلب الأكثر إلحاحاً خلال تلك الفترة هو ضرورة القضاء على الخلافة الفاطمية الشيعية بوصفها العدو الأول للخلافة العباسية السنية .

ولم يكن صلاح الدين أقل تحمساً للمذهب السنى والقضاء على المذهب الشيعى لأنه كان سنياً. لكنه رأى ألا يكون ذلك مرة واحدة بسبب:

(١) آثر أولاً أن يرى رد فعل كبار رجال الدولة فى مصر فى هذه الخطوة خوفاً من حدوث ما لا يحمد عقباه فى ظل انتشار المذهب الشيعى وارتباط الكثير من رجال الدولة بالخلافة الفاطمية.

(٢) كما كان صلاح الدين يخشى من نوايا نور الدين، إذ بدا له أن الأخير قد تغير شعوره نحوه، وبات يحسده على المكانة التى وصل إليها ، والنفوذ الذى حققه فى مصر. لذلك رأى صلاح الدين أن يبقى على الخلافة الفاطمية فى صورتها الشكلية ليستطيع أن يستغلها عند الحاجة ، إذا تأزم الموقف بينه وبين نور الدين.

❖ صلاح الدين وإسقاط الخلافة الفاطمية:

- لكن صلاح الدين سرعان ما أدرك أن القضاء على الخلافة الفاطمية صار ضرورة حتمية خاصة فى ظل توتر العلاقات مع سيده نور الدين ، لكنه تريث فى الأمر وقرر أن تكون هذه الخطوة تدريجية تلافياً لأية نتائج سلبية تنجم عنها. وقد ذهب فكره أن يكون الأمر فى اتجاهين متوازيين يحققان له بغيته فى النهاية:

(١) الاتجاه الأول القضاء على المذهب الشيعى تدريجياً وتشجيع المذهب السنى. فقلص من نفوذ المذهب الشيعى بتشريد دعاته ومنع الصلاة فى الجامع الأزهر بؤرة المذهب الشيعى وغيرها من الإجراءات التى قوت المذهب السنى فى مواجهة المذهب الشيعى.

(٢) الاتجاه الثانى توجيه الضربات المتلاحقة للخلافة الفاطمية ممثلة فى الخليفة الفاطمي وحاشيته وبقايا الجيش الفاطمى، حيث قام بتضييق الخناق على الخليفة الفاطمى وقضى على نفوذ حاشيته، كما قضى على الجيش الفاطمى بعد أن قبض على قادته وتخلص من أهم عناصره من السودانيين.

- وفى النهاية قام صلاح الدين بتنفيذ الأمر وإلغاء الخلافة الفاطمية وأرجع الخطبة للخليفة العباسى. وقد أرسل ببشارة الإلغاء إلى نور الدين والخليفة العباسى.

❖ الخلاف بين صلاح الدين ونور الدين محمود :

رغم أن صلاح الدين كان يعتبر نائباً عن نور الدين بمصر، إلا أن طموحه السياسى لم يلبث فى الظهور حين خاطب الخليفة العباسى مباشرة يهنئه بإسقاط الخلافة الفاطمية فى مصر دون الرجوع إلى نور الدين محمود ، وكان ذلك بداية الجفوة بينهما.

وتجلت مظاهر الجفوة بينهما حين طلب نور الدين من صلاح الدين الخروج بالعسكر النورى والمصرى ومقابلته عند حصن الكرك لضرب الحصار حوله ، وبالفعل خرج صلاح الدين لكنه سرعان ما عاد بقواته مرة أخرى إلى مصر متعللاً باختلال أحوال مصر وخوفه من البعد عنها.

❖ الخلاف بين صلاح الدين ونور الدين محمود :

- ويرجح بعض الباحثين أن طرفاً من حاشيته حذروه من الاجتماع بنور الدين خوفاً من إبعاده عن مصر. وقد حاول صلاح الدين إزالة التوتر بينه وبين نور الدين فأرسل له هدية تقبلها الأخير.

- والواقع أن أسباب التوتر كانت كامنة فيما يبدو فى الخلاف بين وجهتى نظرهما السياسية:

(١) كان نور الدين يرى فى بلاد الشام ميدان القتال الرئيسى ضد الصليبيين ونظر إلى مصر بوصفها أولاً مصدر للدخل لكى يلبى مصاريف الجهاد ، وثانياً كمصدر يمده بقوة بشرية إضافية.

❖ الخلاف بين صلاح الدين ونور الدين محمود :

(٢) بينما صلاح الدين كان يعتقد فيما يبدو أن مكمن الخطر فى الوقت الحالى على الأقل هو مصر ، وذلك بحكم تنافسه فى السابق على مصر.

(٣) كان صلاح الدين أكثر وعياً من نور الدين بأن ثمة مخاطر قد تنشأ نتيجة معاداة القوات الفاطمية السابقة واستعدادهم للانضمام للفرنجة.

ويبدو أن الأقدار كانت تمهد الطريق لصلاح الدين لتحقيق طموحه فقد توفى نور الدين، وبموته تأكدت سيطرة صلاح الدين على مصر. .

بموت نور الدين محمود تاركا خلفه طفلا صغيرا ضعفت دولته الكبيرة، وهنا برزت شخصية صلاح الدين الذي رحل إلى دمشق بحجة رعاية الطفل بن نور الدين محمود

سرعان ما اصطدم صلاح الدين بالبيت الزنكي وتحول الأمر إلى نزاع مسلح بين الجانبين ولكن صلاح الدين انتصر عليهم مرتين، وكانت النتيجة الأساسية أنه خلع الولاء للبيت الزنكي وأعلن نفسه حاكما لمصر وبلاد الشام، بعد أن سيطر على مصر ودمشق وحلب.

حاول صلاح الدين السيطرة على الموصل ولكنه فشل، وفي النهاية مال إلى التسامح والعلاقات الودية لتوحيد الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين.

صلاح الدين ومواجهة الصليبيين

رأى صلاح الدين أن مواجهة الصليبيين لابد أن تسبقها عدة خطوات هى :

١- تكوين جبهة إسلامية قوية فى المنطقة العربية فضم دمشق وحلب، ولكى يضمن صلاح الدين شرعية حكمه للمناطق الجديدة تزوج من أرملة نور الدين، وطلب تفويضا من الخلافة لعباسية بحكم هذه المناطق، واستجاب الخليفة العباسى لطلبه ومنحه تقليداً بحكم مصر والشام.

٢ - تحصين مصر ، وكان اهتمامه الأساسى موجهاً نحو بناء القلعة وأسوار القاهرة وسلسلة من التحصينات فى القاهرة ، وثغور مصر البحرية ، وحتى فى صحراء سيناء كإجراء احتياطى ضد غزوات الصليبيين فى المستقبل . كما عمل على تقوية وتجهيز جيوشه.

٣- وجه وجهه شطر جمهوريات إيطاليا التجارية مثل جنوة والبندقية وقام بعقد معاهدات تجارية معها. وكان صلاح الدين فى ذلك بعيد النظر ، إذ كان يدرك الدور الكبير الذى تلعبه هذه المدن فى الحملات الصليبية ، وهو ما سيظهر بوضوح بعد ذلك فى الحملات التى ستنطلق صوب الشرق خاصة الحملة الرابعة.

- كذلك كانت المفاوضات الدبلوماسية مع القسطنطينية (عاصمة الدولة البيزنطية) ذات فعالية أكبر بالنسبة لتحقيق هدف صلاح الدين. إذ كانت هناك محاولات من البيزنطيين لإقناع الصليبيين فى الشام بالتعاون فى سبيل الهجوم على مصر، مما كان يشكل خطراً على أمن مصر، وساعد العداء المتنامى بين البيزنطيين والغرب الأوروبى على التقارب بين صلاح الدين والبيزنطيين.

٥- عقد هدنة مع الصليبيين عام٥٨١هـ /١١٨٥م لمدة أربع سنوات حتى يتفرغ لتجهيز نفسه لمواجهتهم بعد ذلك.

- حاول أرناط الفارس الصليبي الأحمق مهاجمة الحرمين الشريفين وأعد سفنا لنزولها إلى البحر الأحمر ولكن صلاح الدين أسرع بالتصرف وأرسل اسطولا قضى على الصليبيين الذين حاولوا الوصول إلى المدينة المنورة.

موقعة حطين

وبنهاية عام٥٨٢هـ/ ١١٨٦م أصبح صلاح الدين مستعداً لمهاجمة الصليبيين ومنعه من ذلك المعاهدة التى عقدها معهم وبات ينتظر الذريعة. ولم يطل انتظاره حيث نشب نزاع داخلى على عرش مملكة بيت المقدس خرج منه ريموند الثالث أمير طرابلس الوصي على عرش المملكة خالى الوفاض مما جعله يتحالف مع صلاح الدين.

يضاف إلى ذلك أن أرناط حاكم حصن الكرك عاود حماقاته حين انقض على قافلة كبيرة ونهب ما كان فيها. وقد بدا صلاح الدين باستخدام الطرق الدبلوماسية فطلب من أرناط رد الأسرى والغنائم لكن الأخير رفض وهنا قام صلاح الدين بحركة تعبئة شاملة لجميع قوى المسلمين ومواردهم البشرية واستقر فى دمشق واستعد لمهاجمة حصن الكرك.

على الجانب الآخر استعد لوزجنان حاكم مملكة بيت المقدس لمواجهة صلاح الدين ودارت معركة كبيرة بين الطرفين سقط فيها معظم الجيش الصليبى بين قتلى وأسرى. ويبدو أن هذه الكارثة التى حلت بالصليبيين جعلت ريموند يفيق إلى رشده فنقض تحالفه مع صلاح الدين ، واجتمعت الجيوش الصليبية فى صفورية استعداداً لجولة ثانية من القتال ضد صلاح الدين.

ولما رأى صلاح الدين ذلك قرر مهاجمة طبرية حتى يجبر الصليبيين على ترك صفورية والتحرك وسط جو حار وطريق وعر لمهاجمته ، وبالفعل نجحت خطة صلاح الدين وتحرك الجيش الصليبى ووصل إلى حطين قرب طبرية وقد أعياهم التعب وحرارة الجو والعطش ، فى الوقت الذى تمتع صلاح الدين وجيشه بالراحة والاستعداد الجيد للمعركة.

وفى هذا المكان دارت وقائع معركة حطين، وبدا فى المعركة نتيجة تخطيط صلاح الدين حين سقط أغلب رجال الجيش الصليبى المجهد صرعى سيوف الجيش الإسلامى، هذا بخلاف الأسرى الذين كان من بينهم لوزجنان وأرناط الذى لقى جزاء تهوره سريعا ، وانتهت المعركة بانتصار ساحق للمسلمين.

❖ نتائج موقعة حطين:

- لقد ثبت على الفور أن الانتصار فى حطين كان ساحقاً، فقد تم تدمير الجيش الصليبي بأكمله تقريبا.
- استولى صلاح الدين على الكثير من المدن والحصون التى سقطت مثل: عكا ، صيدا ، بيروت، والناصرة ، وقيسارية ، ونابلس.
- - وقد أوفى صلاح الدين بوعده فى النهاية وتم الاستيلاء على باقى الحصون فى هذه المنطقة سواء أثناء الزحف نحو عسقلان أو بعده. وأخيراً تقدم صلاح الدين بعد أن أعاد توحيد جيوشه نحو الهدف الذى حددته طموحاته وهو الاستيلاء على بيت المقدس. وبعد حصار استمر لأقل من أسبوعين استسلمت المدينة بشروط تؤكد سمعته التى تتسم بالكياسة والكرم الذى لا حد له.
- - وافق صلاح الدين على خروج الصليبيين من المدينة سالمين بعد دفع مبلغ بسيط، تكفل هو نفسه بدفعه عن الفقراء. بينما قتل الصليبيون من قبل عام ١٠٩٩م في الحملة الصليبية الأولى سبعين الف مسلم حال دخولهم المدينة.

تدريبات

(١) من الخطوات التى اتخذها صلاح الدين للاستعداد لمواجهة الصليبيين التحالف مع ....

(ا) الفاطميين (ب) العباسيين (ج) البيزنطيين (د) النوريين

(٢) من أجل أن يستعد صلاح الدين لقتال الصليبيين عقد معهم هدنة لمدة .....

(ا) ٣ سنوات (ب) ٤ سنوات (ج) ٥ سنوات (د) ٦ سنوات

(٣) ماهى الخطوات التى قام بها صلاح الدين لاسقاط الخلافة الفاطمية؟

المحاضرة السابعة

❖ الحملة الصليبية الثالثة:

❖ أسباب الحملة:

❖ قيادة الحملة:

❖ موقف الدولة البيزنطية:

❖ أحداث الحملة:

❖ صلح الرملة:

❖ أسباب الحملة:

- لم تكد تمر ثلاث سنوات على معركة حطين حتى انكمشت الممتلكات الصليبية فى بلاد الشام ، فلم يبق من مملكة بيت المقدس إلا صور ، ومن إمارة طرابلس إلا عاصمتها مدينة طرابلس وقلعة انطرسوس ومن إمارة إنطاكية إلا عاصمتها مدينة إنطاكية ، بجانب بعض المواقع الثانوية الضئيلة الأهمية. وقد أحدثت هذه الانتصارات دوياً هائلاً فى أوربا فارتفعت أصوات البابوية تطالب بخروج حملة صليبية جديدة لاسترداد بيت المقدس.

وصار دعاة الحروب الصليبية يطوفون في أوروبا للدعوة لحملة جديدة تسترد بيت المقدس من المسلمين.

❖ قيادة الحملة:

- حظيت هذه الحملة بقيادات أوربية لم تتوفر لأى حملة صليبية أخرى ، فقد اشترك فيها الإمبراطور الألمانى فردريك باربروسا ، وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا ، وفيليب أغسطس ملك فرنسا.

❖ طريق الحملة:

- سار كل ملك بحملته بشكل منفصل عن الآخر.

- اختار فردريك باربروسا أن يتجه إلى بلاد الشام عن طريق البر، عبر شرق أوروبا ، ثم الدولة البيزنطية وآسيا الصغرى ، فى حين سلك ريتشارد وفيليب طريق البحر.

❖ موقف الدولة البيزنطية من الحملة:

لما وصل الإمبراطور الألماني فردريك باربا روسا بجيشه أمام مدينة القسطنطينية (عاصمة الدولة البيزنطية) قوبل من الإمبراطور البيزنطى اسحق الثانى بنفس العداء الذى قوبل به أسلافه فى الحملات السابقة، فقد كان اسحق يخشى الألمان لكثرتهم وقوتهم. بجانب أن اسحق كان على علاقة طيبة بصلاح الدين ، فأرسل يخبره بقدوم هذه الحملة وأنه لن يستطيع منعهم من عبور أراضيه لأنهم أخذوا رهائن منه.

شرع صلاح الدين في الاستعداد لمواجهة الحملة الألمانية في شمال الشام. وتخوف المسلمون منها لما سمعوه عن قوة الألمان.

❖ أحداث الحملة:

فى أثناء سير الألمان في آسيا الصغرى، واقترابهم من حدود الشام، انتشرت بينهم الأمراض وفتكت بالكثير منهم . وزاد الطين بلة أن فردريك أراد السباحة فى أحد الأنهار القريبة، فجرفه تيار الماء البارد فلم يستطع مقاومته ومات غرقاً. وأدت وفاة فردريك إلى تحطم الحملة الألمانية تماماً. ومن بقي منها إما عاد إلى القسطنطينية، أو تلقته سيوف المسلمين. وارتاح المسلمون في الشام بعد أن ازعجهم خبر وصول الحملة الألمانية، وكان صلاح الدين قد شرع في التجهز لمواجهة تلك الحملة في شمال الشام.

في خلال تلك الفترة كانت بقايا الصليبيين في كل المدن التي فتحها صلاح الدين قد تجمعت في مدينة صور الحصينة. وسرعان ما استعصت على صلاح الدين وفشلت محاولاته في فتحها فتركها ليتفرغ لمهام أخرى.

اختلفت أراء المؤرخين حول موقف صلاح الدين الذي تسامح مع سكان المدن الصليبية وتركهم يرحلون سالمين إلى مدينة صور حتى تجمعوا فيها واستعصت عليه. فيرى البعض أنه بهذا شجع سكان باقي المدن على الاستسلام وتسليم مدنهم مقابل خروجهم سالمين، وبذلك استرد الكثير من المدن، دون جهد أو سفك دماء. بينما يلوم البعض الآخر صلاح الدين على أنه تسبب في تجمع هذا العدد الكبير في مدينة صور حتى استعصت عليه.

في الوقت نفسه وافق صلاح الدين على إطلاق سراح جاي لوزجنان ملك بيت المقدس الأسير، بعد أخذ عليه تعهدا ألا يحمل سلاح ضده قط. ولكن الملك الصليبي سرعان ما جمع بعض أتباعه وذهب إلى صور مطالبا بقيادة الصليبيين هناك، ولكنهم رفضوا دخوله، فما كان منه إلا أن جمع أتباعه واتجه إلى عكا لحصارها.

عندما وصل خبر حصار عكا لصلاح الدين لم يصدق وظن أن في الأمر خدعة لصرفه عن حصار بعض المدن الصليبية، فتأخر بعض الوقت في الوصول إليها.

بعد أن تأكد صلاح الدين من خبر حصار الصليبيين لعكا، رحل بقواته إلى عكا بينما كان الصليبيون يحكمون الحصار حول المدينة وتتزايد أعدادهم يوما بعد يوم.

عندما وصلت الحملة الصليبية الثالثة اتجهت إلى عكا التي أصبحت محور العمليات العسكرية في الحملة، وأحكمت الحصار حولها، وتجمعت حولها كل القوات الصليبية. بينما صلاح الدين يراقب الموقف على مسافة من المدينة محاولا فك الحصار عنها، حيث دارت العديد من الاشتباكات بين جيش صلاح الدين والصليبين خارج مدينة عكا واستمرت عدة شهور بينما تتزايد أعداد الوافدين من المشاركين في الحملة الثالثة..

وقد أدرك صلاح الدين خطورة الموقف فى عكا فبذل جهده للتخفيف عن أهلها بمهاجمة الفرنجة باستمرار، وفي الوقت نفسه محاولة إمداد الحامية المحاصرة بالمؤن عبر البحر، لكن ذلك لم يؤثر فى الحصار الذى أوشك على تدمير أسوار المدينة، وقد حاول صلاح الدين إنقاذ حامية المدينة بأن عرض على الصليبيين تسليم المدينة وصليب الصلبوت (الصليب المقدس لدى المسيحيين الذي يعتقدون أن السيد المسيح عليه السلام قد صلب عليه، ويعتقدون أنه مصدر للبركة) مقابل منح الأمان لحامية عكا ، لكن الصليبيين استغلوا الموقف وطالبوا بجميع البلاد التى استولى عليها صلاح الدين، مما جعله يتوقف عن مفاوضتهم .

دافعت حامية عكا عنها ببسالة منقطعة النظير وبرزت بطولات إسلامية كبيرة مثل عيسى الغواص الذي كان يعوم بين سفن الاعداء ليدخل إلى المدينة وينقل الرسائل والمال إليها .

حاول صلاح الدين تخفيف الحصار عن الحامية وفي الوقت نفسه مواصلة الاتصال بهم وإمدادهم بالمؤن عن طريق البحر ولكن تزايد السفن الصليبية قطع الطريق البحري تمام وبذلك أُحكم الحصار الصليبي حول عكا براً وبحراً

وفى النهاية لم تصمد عكا طويلاً وعقد افراد الحامية الإسلامية في الداخل اتفاقية تسليم منفردة مع ريتشارد دون موافقة صلاح الدين، الذي فوجئ برفع أعلام الصليبيين على اسوار المدينة. .

أحداث الحملة:

وافق صلاح الدين مضطرا على الاتفاقية وشرع في تنفيذ شروطها لبعض الوقت، بجمع الأسرى الصليبين وما إلى ذلك.

لم ينتظر ريتشارد قلب الأسد بل قام غدرا بقتل كل أفراد حامية عكا وهم عدة ألاف سلموا أنفسهم له بمقتضى اتفاقية صلح عقدوها معه بعيدا عن صلاح الدين، الأمر الذي أثر غضب صلاح الدين، وحزن وأسى المسلمين. وقرر صلاح الدين قطع المفاوضات مع ريتشارد.

وسرعان ما دب الخلاف بين ريتشارد وفيليب نتيجة استئثار الأول بكل شئ ونقضه اتفاقه مع فيليب فى اقتسامه كل ما يتم فتحه . لذلك شعر فيليب بالغضب وتظاهر بالمرض وأبحر عائداً إلى بلاده. أما ريتشارد فاختار أن يبقى بالشام ليحاول أن يصفى الحساب بين صلاح الدين والصليبيين. وهكذا أصبح ريتشارد قلب الأسد هو زعيم الصليبيين في بلاد الشام.

وتعتبر الحروب التي دارت فى الشام بين صلاح الدين وريتشارد من أهم حلقات الحروب الصليبية إطلاقاً . ذلك أن ريتشارد جمع بين الشجاعة والتهور ، فتزعم القوى الصليبية فى الشام للقيام بحركة كبرى يسترد بها بيت المقدس ويعيدها إلي سابق عهدها.

- وقد بدأ ريتشارد بمحاولة استرداد شاطئ فلسطين – من عكا إلى عسقلان – فاستولى الصليبيون على حيفا ثم على قيسارية ومنها اتجهوا صوب أرسوف، وفي أرسوف تلقى صلاح الدين هزيمة في أرض المعركة، إلا أنه استعاد رابطة جأشه وسيطر على الموقف ومنع ريتشارد من تحقيق انتصار ساحق على الجيش الإسلامي.
- وقد حاول ريتشارد الزحف على بيت المقدس ، لكن صلاح الدين وقف أمامه بالمرصاد وأحسن تحصينها، مما جعله يحجم عن حصارها رغم أنه اقترب منها فى مرات كثيرة.

❖ صلح الرملة:

- وفى ظل هذه الظروف وصلت ريتشارد أنباء عن عزم أخيه اغتصاب مملكته أثناء غيابه بتحريض من فيليب. وكان ريتشارد قد أدرك أخيراً أن مشاكل الصليبيين الداخلية كثيرة ومعقدة ، وأن مركز صلاح الدين قوى ومتين، هذا الأمر بجانب ما وصلته من أنباء بشأن أحوال بلاده دفعته إلى التفكير فى طلب الصلح مع صلاح الدين.

- لجأ ريتشارد إلى فتح باب المفاوضات مع صلاح الدين ، وقد رفض الأخير فى البداية خوفاً من أن يكون ذلك خدعة ، ولأنه كان يرى أن الجند المسلمين مارسوا الجهاد ، ولا يضيرهم الاستمرار فيه ، ولكنه قبل تحت إلحاح أمرائه ، لاسيما أن البلاد قد عانت الأهوال وفى حاجة إلى إصلاح ، بجانب حاجة الجند للراحة بعد سنوات طويلة من الحروب المستمرة.

- وفى خلال هذه المفاوضات عرض الملك ريتشارد على صلاح الدين أن يتزوج أخاه الملك العادل من أخت ريتشارد ليحكم الزوجان (المسلم والمسيحية) مدينة بيت المقدس، والغريب أن الجميع وافق، إلا أن الزوجة المسيحية رفضت تحت تأثير رجال الدين.

- فطلب ريتشارد من العادل أن يتظاهر بالمسيحية حتى يتم الزواج ولكنه رفض وفشل مشروع الزواج الغريب.

❖ تابع صلح الرملة:

- وقد طالت المفاوضات بين الطرفين ومرت بأدوار متعددة، حتى أدت فى النهاية إلى صلح الرملة فى شعبان ٥٨٥هـ / سبتمبر عام ١١٩٢م ، الذى نص على:

(١) أن تستمر الهدنة بين الطرفين ثلاث سنين وثمانية أشهر

(٢) أن يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من صور إلى يافا بما فيها قيسارية وحيفا وأرسوف ، وما عدا ذلك - بما فيه بيت المقدس – تظل بأيدى المسلمين.

- وبمقتضى هذا الصلح لم يبق للمسلمين على الساحل الشامى غير نطاق ضيق يشمل صيدا وبيروت وجبيل ، إلا أنهم ابقوا على معظم المناطق الداخلية بأيديهم ، وأبعدوا خطر الصليبيين عن مصر ، واحتفظوا ببيت المقدس.

- وبعد عقد الصلح عاد ريتشارد إلى انجلترا ، أما صلاح الدين الذى لم يطمئن لنوايا الصليبيين فقد رجع إلى مدينة بيت المقدس وأعاد تقوية حصونها ثم دخل دمشق بعد غيبته عنها أربع سنين ، فاستقبل فيها استقبالا حافلاً . لكن الأقدار لم تمهل صلاح الدين كثيراً للتمتع بتلك الهدنة فقد وافته المنية فى دمشق بعد مرض قصير عن سبع وخمسين عاماً. وكان يوم وفاته يوما حزينا على المسلمين، ومدحه حتى اعدائه من المؤرخين الصليبين الذي أشادوا كثيرا بحلمه وكرمه ورحمته، مع شجاعته وصبره على الجهاد.

تدريبات

(١) كان ريتشارد قلب الأسد من قادة الحملة الصليبية ....

(ا) الثالثة (ب) الرابعة (ج) الخامسة (د) السادسة

(٢) من أشهر قادة الحملة الصليبية الثالثة فيليب أغسطس ملك .....

(ا) انجلترا (ب) المانيا (ج) فرنسا (د) ايطاليا

(٣) مات خلال الحملة الصليبية الثالثة الملك فردريك بربا روسا ملك .....

(ا) انجلترا (ب) المانيا (ج) فرنسا (د) ايطاليا

(٤) ماهي بنود صلح الرملة ؟

❖ الحملة الصليبية الرابعة:

(١) الخلافات بين الدولة البيزنطية والغرب الأوربي:

(أ) اختلاف الهدف تجاه القضية الصليبية ، فالبيزنطيون كانوا يريدون من الغرب الأوربي فقط قوات مرتزقة أو قوات مساعدة تعمل تحت الإشراف الإمبراطوري ولم يرغبوا في حملات صليبية كاملة ، في حين كان للغرب الأوربي أطماع في بلاد الشام وليس فقط مجرد مساعدة البيزنطيين.

(ب) الخلاف في طبيعة كل عنصر ، فقد كان كل فريق منهما ينظر إلى الآخر على أنه عدوه اللدود ، فكان الغربيون يحقدون على البيزنطيين المنشقين ويشكون في نواياهم ويحسدونهم على ثرواتهم وحضارتهم، بينما احتقر البيزنطيين الغربيين الأفظاظ واعتبروهم اقل منهم في الحضارة ، ولهذا لم يفهم كلاهما الآخر.

❖ وظهر هذا الخلاف في الحملات الصليبية الثلاث التي سبقت الحملة الرابعة:

- فى الحملة الصليبية الأولى ، وتحديداً القسم الأول منها الذى عرف بحملة العامة أو حملة الرعاع، راحت هذه الحملة تلحق الخراب والقتل والسلب بالأراضى البيزنطية التى اجتازتها حتى وصلت إلى أسوار القسطنطينية. ورغم أن الإمبراطور الكسيوس تلقاها بالترحاب، إلا أن هؤلاء عاثوا فساداً فى ضواحى القسطنطينية، وأضرموا النيران فى القصور، وانتهكوا حرمة الكنائس وقاموا بقتل إخوانهم المسيحيين. وقد نبهت هذه الحملة البيزنطيين إلى الخطورة التى يمكن أن تتعرض لها إمبراطوريتهم من الحملات الصليبية الوافدة ، فقد أدرك حكام الدولة البيزنطية الخطر الحقيقى الكامن فى هجوم غربي على القسطنطينية ذاتها، وربما كان لانتزاع الكسيوس قسم الولاء والتعهد بإعادة الأراضى البيزنطية السابقة وتعاونه الصادق مع القادة الصليبيين، خاصة بمدهم بالأدلاء والمؤن الضرورية دلالة على فهمه للرابطة الإقطاعية وما يترتب عليها من حقوق وواجبات، وعزمه على التحكم فى المغامرة الصليبية.

في الحملة الصليبية الثانية أدرك الامبراطور البيزنطى مانويل أن التهديد الأساسى له قادم من جهة القوى الغربية أكثر من المسلمين . وقد عمل على تأمين جانبه بنفس الأسلوب الذى اتبعه سلفه الكسيوس مع صليبى الحملة الأولى، وبدأ مساعيه الدبلوماسية فور وصول أنباء هذه الحملة إليه ، فكتب إلى البابا يعلن ترحيبه بالحملة ، ويعد بدعم ومساندة الصليبيين إذا ما أظهروا له نفس التكريم الذى أبداه أمراء الحملة الأولى لجده، وأقسموا له نفس قسم الولاء الذى أقسمه الآخرون من قبل، وأكد على ضرورة أن يتعهد الصليبيون بتسليمه أية أراضى قد يستولوا عليها فى آسيا الصغرى وكانت تابعة من قبل لإمبراطوريته.

- وبعد فشل الحملة الصليبية الثانية، وعاد إلى الغرب قائدا الحملة دون مكاسب. وكان أمراً طبيعياً أن يبحث الغرب عن كبش فداء تلقى على عاتقه مسئولية الإخفاق لهذه الحملة ، ووجد ضالته – كالعادة – فى بيزنطة ، وباتت بيزنطة فى قفص الاتهام بدعوى خيانة القضية الصليبية. وأنه إذا أريد للقضية الصليبية النجاح فلابد من القضاء على بيزنطة.

وفى الحملة الثالثة .. طمع الامبراطورالالمانى فردريك باربا روسا في الدولة البيزنطية نتيجة الضعف الذى حل بها من جراء الحرب الأهلية، ومع عدم وجود قيادة عسكرية قوية فى ظل وجود الإمبراطور اسحق الثانى على عرش الإمبراطورية ، وهو الذى لم يكن على نفس كفاءة أسلافه. وعلى ذلك أعد بربا روسا عدته لمهاجمة اسحق الذى لم يكن بالدهاء الدبلوماسى الذى يمكنه من مواجهة الموقف، واحتل الألمان بعض المناطق البيزنطية وتقدموا نحو القسطنطينية، ولم يكن أمام اسحق سوى قبول شروط بربا روسا ،فتم عقد اتفاق حصل بموجبه الألمان على بعض الامتيازات الخاصة وبعد هذه الأحداث عبر بربا روسا إلى آسيا الصغرى وجاءت وفاته غرقا لتخلص بيزنطة من عدو شديد الخطورة.

(٢) دور البنادقة:

واقع الأمر أن البنادقة قد لعبوا دوراً مؤثراً فى الحملة الصليبية الرابعة، ولكى نفهم هذا الدور ينبغى أن نعرف طبيعة العلاقة بين مدن إيطاليا التجارية، والبندقية على وجه الخصوص ، والإمبراطورية البيزنطية قبل أحداث هذه الحملة . وكانت البندقية فى نهاية القرن الثانى عشر قد دخلت عصرها الزاهى كقوة تجارية واستعمارية وبحرية ، وتطلبت مصالحها الممتدة إلى الحوض الشرقى للبحر المتوسط إقامة قوة بحرية ، وإتباع سياسة عدوانية يقظة حذرة .

وحصلت البندقية مثل سائر المدن البحرية الإيطالية على امتيازات تجارية عظيمة وإعفاءات فى موانئ الشام مثل عكا وصور مقابل ما تقدمه من مساعدات بحرية لمملكة بيت المقدس، وأعطى هذا للبنادقة

اهتماماً عملياً بشئون الدويلات الصليبية، كما عمق المنافسة بينها وبين المدن التجارية الأخرى مثل جنوا وبيزة .

وأكثر من ذلك وسعت البندقية ومنافسيها في الوقت نفسه التجارة المربحة مع مصر من خلال ميناء الإسكندرية وكانت هذه تجارة مع الأعداء من وجهة نظر البابوية والدويلات الصليبية ، خاصة مصر التى كانت تطلب الأخشاب والمعدات البحرية الأخرى مقابل توابل الشرق الأقصى . وقد شجب الباباوات والمجامع الكنيسة هذه التجارة وحرموها على المدن الإيطالية ولكن دون جدوى . وعرف عن البندقية – بصفة خاصة – بين المسيحيين فى الشرق بأنها تهتم بأرباح هذه التجارة أكثر من انتصار الصليب.

وكانت البندقية قد حصلت على امتيازات عديدة من الأباطرة البيزنطيين مقابل مساعدتها ضد أعداء الدولة وتقديم العون لبيزنطة فى حالة تعرضها لأى عدوان، ويكون الأسطول البندقى تحت القيادة البيزنطية.

لكن الوضع سرعان ما تغير ورغم الامتيازات التى حصل عليها البنادقة إلا أن البيزنطيين ظلوا مدينين للبندقية بمال كثير، كما أن الكسيوس الثالث فضل البيازنة والجنوية على البنادقة، وراح يفرض الضرائب والرسوم على السفن البندقية كذلك رغم تعارض ذلك مع بنود المعاهدات بين الطرفين. وهكذا كانت الظروف مهيأة أمام البنادقة لتحويل الحملة القادمة ضد بيزنطة.

(٣) دور البابوية:

- أما فيما يتعلق بالضلع الثالث من أضلاع هذه الحملة ونعنى به البابوية ، فمن المثير أن كثير من المؤرخين الذين تصدوا لدراسة الحملة الصليبية الرابعة انقسموا إلى فريقين؛ فريق يفسر تحول الحملة عن هدفها الأصيل إلى غزو القسطنطينية وفق نظرية الصدفة ، بمعنى أن الغزو لم يأت عمداً وإنما كان وليد ظروف طارئة. وفريق آخر يرى أن سياسة جمهورية البندقية والغرب الأوروبى كانت مقصودة بمحاولة تدمير بيزنطة . على أن أحداً لم يحاول تقصى ما كان يكمن وراء الغزو الصليبى لمدينة قسطنطين من دوافع كنسية.

- وتنطق الوثائق التى بين أيدينا عن سياسة البابا أنوسنت الثالث تجاه الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها بإصرار عنيد على إدانة الكنيسة البيزنطية بالضلال والانحراف، وبإصرار أزيد على تقويم هذه الانحرافات بالقوة.

وقد كتب البابا أنوسنت الثالث إلى الإمبراطور الكسيوس الثالث عام ١١٩٨م ينصحه بالاعتراف بسيادة البابوية، وراح يحذر الكسيوس من أن الشعب المسيحى والبابا ذاته، لا بل المسيح نفسه غاضبون جميعاً على بيزنطة لأن إمبراطورها لم يفلح فى إرجاع كنيسة بيزنطة الضالة إلى الوحدة مع سيدة الكنائس فى روما. كما كتب أنوسنت الثالث إلى يوحنا العاشر بطريرك القسطنطينية فى نفس العام رسالة ينفى فيها صفة الكنيسة عن كنيسة بيزنطة بسبب حماقتها وسحابة الجهل المخيمة عليها، وانشقاقها عن كنيسة روما ، ومضى البابا فى تقريعه لبطريركية القسطنطينية معلناً أنه لن يرضى عن هذا العار الذى جلبه البيزنطيون على الشعب المسيحى وكنيسته الطاهرة الواحدة الوحيدة الرسولية.

وقد رد الكسيوس على البابا بخطاب يخطب وده ويتملقه مبدياً استعداده لمناقشة أمر وحدة الكنيسة على أن يساعده البابا فى استعادة قبرص لملكه، وهو الأمر الذى كان بعيد المنال نظراً لأن البابا قد بسط حمايته على ملك قبرص. كما رد بطريرك كنيسة القسطنطينية على رسالة البابا وفند مزاعمه، وتساءل فى نهاية رسالته عمن أصاب جسد الكنيسة بالصدع والشقاق روما أم بيزنطة.

❖ أحداث الحملة:

- ظهرت النواة الأولى لتكوين الحملة الصليبية أخيراً فى نوفمبر عام ١١٩٩م ، وقد تجمع بشمال فرنسا عدد كبير من الكونتات والأمراء والفرسان

وكانت الخطوة الأولى أمام الجيوش الصليبية هى تحديد وجهة الحملة ، وهنا رأى صغار النبلاء وعامة الفرسان أن تكون وجهتهم بلاد الشام ليشقوا طريقهم مباشرة إلى بيت المقدس . فى حين رأى كبار الأمراء والقادة أن يستفيدوا من آراء عمورى الأول ملك بيت المقدس الأسبق ، ومن نصائح ريتشارد قلب الأسد فيوجهوا ضربتهم ضد مصر بوصفها مركز المقاومة ضد الصليبيين بالشام ، والمخزن الكبير الذى استمد منه الأيوبيون مواردهم البشرية والمالية فى محاربة الصليبيين، هذا فضلاً عن إن إعادة توحيد الجبهة الأيوبية تحت زعامة الملك العادل جعل من الخطورة على الصليبيين أن يتجهوا نحو حصار بيت المقدس فيعرضون أنفسهم للوقوع بين فكى الكماشة ، أى بين قوات العادل التى تخرج من مصر وتلك التى تنفذ من دمشق.

ثم إنه وجدت عندئذ نسبة كبيرة من التجار الإيطاليين فى الموانئ المصرية الشمالية، وهؤلاء سيتعرضون لانتقام السلطات المصرية إذا هاجم الصليبيون بيت المقدس ، فالأولى أن يبدأ الصليبيون بمهاجمة الشواطئ المصرية لحماية هؤلاء التجار وتأمين الجبهة الجنوبية لفلسطين ، ثم بعد ذلك يستطيعون الاستيلاء على بيت المقدس إما عن طريق المساومة أو عن طريق القوة . وهكذا استقر الرأى على أن تكون مصر مقصد الحملة الرابعة.

وفيما يختص بنقل الجنود تقرر أن تسلك الحملة الطريق البحرى بدلاً من الطريق البرى الذى سلكته الحملة الصليبية الأولى ، والذى اتصف بكونه طويلاً وشاقاً . وكانت المدن البحرية قد طورت حركة المرور لصالح الحجاج والصليبيين وتجارتها التى تنقل فى البحر المتوسط . وغالباً ما كان الصليبيون يستأجرون سفناً خاصة من واحدة أو أخرى من هذه الموانئ . وفى هذه الحملة أرسل قادتها سفارة للبندقية مكونة من ستة من فرسانها يطلبون منها أن تزودهم بأسطول كبير يكفى لنقل الجيش كله ، وأخذ البنادقة هذا الطلب بعين الاعتبار ، وراحوا يدرسونه كأمر سياسى يجب أن يحدد فى ضوء المصالح والالتزامات الأخرى.

- وبعد مناقشة ودية تم الاتفاق على أن تمد البندقية الحملة بالسفن اللازمة لنقل الصليبيين عبر البحار مقابل الدفع ، كما وافقت البندقية أيضاً على أن تنضم للحملة الصليبية كشريك مساوى، وأن تزود الصليبيين بوسائل النقل.

- وبعد أن وافق الطرفان على الشروط ، وقعا الاتفاقية فى أبريل ١٢٠١م . أما عن المفاوضات التى وافق عليها الطرفان سراً وهى أن تتجه الحملة مباشرة إلى مصر ، ولكنهم أبقوا الأمر سراً، وأذاعوا أن الحملة ستتجه مباشرة إلى فلسطين ، وذلك حتى يخفوا بلا شك نواياهم الحقيقية عن العدو ، وليمنعوا أى تذمر أو شجار بين طبقات المحاربين الصليبيين الذين يتوقعون بالطبع الذهاب إلى بيت المقدس. وبعد ذلك تم إرسال نسخة من الاتفاقية للبابا أنوسنت الثالث. ورغم أن هذه الاتفاقية لم تكن وفق ما يرغبه البابا تماماً، إلا أنه اضطر لأن يوافق عليها كجزء من مشروعه الخاص.

وكانت الاتفاقية الموقعة من البنادقة والصليبيين قد حددت وصول الجيش الصليبى إلى البندقية فى نهاية ابريل ١٢٠٢م ، وذلك حتى يتسنى لهم الرحيل خلال فصل الصيف . وفى الحقيقة أن فرق الجيش الصليبى الأول لم تغادر أقاليم فرنسا حتى مايو ، وبعضها ظل حتى أغسطس ، كما ظهرت مجموعات صغيرة من الصليبيين قادمة من ألمانيا حوالى ذلك الوقت. والأسوأ من ذلك أن عدداً من صفوة فرنسا عزم على ألا يبحر من البندقية، وبحثوا لأنفسهم عن وسيلة نقل أخرى عبر البحار فى موانئ أخرى ، فأبحر

بعضهم من مارسيليا والبعض الآخر من جنوب إيطاليا . لذلك عندما وصل القادة إلى البندقية وراحوا يحشدون القوات تحت قيادتهم فزعوا لأن العدد الذى حضر إلى البندقية كان ثلث ما هو متوقع من قوات.

وقد اعتمد قادة الحملة على جمع المبلغ الكبير – الذى ما زالوا يدينون به للبنادقة – من كل فرد من الصليبيين ، ولكنهم وجدوا أنهم لن يستطيعوا الوفاء بالتزاماتهم ، وبعد أن وفى كل فرد من الجنود بالتزاماته، ودفع ما عليه من تبرع ، قام الكونتات وبعض ذوى المكانة من البارونات بإضافة ما يستطيعون من أموالهم الخاصة ، ورهنوا ما لديهم من آنية فضية وذهبية لدى المرابين البنادقة مقابل المال ، ولكن فى النهاية ظلوا يدينون للبنادقة.

وهكذا أصبحت الحملة مهددة بالفشل حتى قبل أن تبدأ لأن البنادقة لم يكن لديهم استعداد للخروج بالحملة قبل أن يحصلوا على المال المنصوص عليه فى العقد . وفى تلك اللحظات الحرجة قدمت البندقية اقتراحاً للخروج من هذا المأزق، وهو طلب مساعدة الصليبيين للبنادقة من أجل استعادة مدينة زارا الهنغارية التى كانت تخضع للبندقية ثم استولى عليها ملك المجر عام٥٦٣هـ /١١٦٨م ، وفشلت جهود البندقية فى استعادتها منذ ذلك الوقت. وكانت هذه المساعدة فى مقابل تأجيل دفع ما عليهم من دين حتى يستطيعون دفعه من حصتهم من الغنائم التى سيصيبونها خلال الحملة.

ومع أن البديل كان تنازل من الصليبيين وضياع المال المدفوع، إلا أن قادة الصليبيين قبلوا الاقتراح، وإن اعترض عليه بعض الصليبيين ورفضوا أن يشهروا أسلحتهم فى وجه المسيحيين .

وفى ذلك الوقت نشبت ثورة فى القسطنطينية انتهت بخلع اسحق الثانى وفرار ابنه الكسيوس الصغير إلى الغرب طالباً المساعدة من البابوية وجموع الصليبيين . أما الثمن الذى عرضه الكسيوس مقابل تلك المساعدة فكان مغرياً حقاً ، يتلخص فى خضوع الكنيسة الشرقية للبابوية ، فضلاً عن مساعدة الصليبيين فى حملتهم ضد مصر . ومن الطبيعى أن يصادف هذا العرض قبولاً من البابوية فى حين وجدت البندقية فيه تحقيقاً لفوائد مادية ضخمة .

وهنا نلاحظ أن البنادقة بالذات لم يكونوا مستعدين لمعاداة الملك العادل الأيوبى وحمل الصليبيين إلى شواطئ مصر ، نظراً لما صار لهم من مصالح اقتصادية واسعة فى مصر عندئذ ، وقد منح العادل البنادقة بالذات امتيازات تجارية واسعة فى مصر ، وعقد معهم معاهدة تجارية حققت لهم كثيراً من الفوائد ، كما خفض لهم الضرائب وسمح لهم بإقامة فندق آخر جديد لهم بالإسكندرية.

وهكذا لم يكن فى صالح البنادقة بأى حال التضحية بمصالحهم التجارية فى مصر وإثارة القطيعة مع السلطان العادل ، فى الوقت الذى سيؤدى اشتراكهم مع الصليبيين فى غزو القسطنطينية إلى تحقيق مكاسب جديدة فى هذا المركز الهام الواقع على الطريق بين آسيا وأوربا ، هذا فضلاً عن إتاحة الفرصة للبنادقة ليثأروا من الإمبراطورية التى حرمتهم من امتيازاتهم التجارية فى القسطنطينية وأعطتها لمنافسيهم من الجنوية والبيازنة. أما الغرض الصليبى والكنيسة وبيت المقدس فهى شعارات جوفاء فى نظر البنادقة لن يؤدى الجرى ورائها إلا إلى كساد تجارتهم وضياع مصالحهم الاقتصادية ذات الاعتبار الأول فى نظرهم.

فإذا أضفنا إلى ذلك كله سوء العلاقة بين الصليبيين والبيزنطيين منذ الحملة الصليبية الأولى ، واعتقاد البابوية والغرب الأوربى أن الدولة البيزنطية مسئولة عن عرقلة جهود الصليبيين، وعن فشل كثير من الحملات الصليبية التى سلكت أراضيها . والنفور القديم المتأصل بين الكنيستين الشرقية والغربية ، ورغبة البابا فى تحقيق سيادة البابوية وإدخال الكنيسة الشرقية تحت نفوذه. لو نظرنا لتلك الأمور لأدركنا فى نهاية الأمر لماذا صادفت فكرة اتجاه الصليبيين ضد القسطنطينية قبولاً عاماً سريعاً من البابوية والبنادقة والرأى العام فى الغرب الأوربى .

وفى النهاية تحركت الحملة صوب مدينة زارا برغم معارضة البابا أنوسنت الثالث لذلك لأنها كانت تتبع ملك المجر الذى كان على علاقة طيبة بالبابا ، وهدد بعقاب المهاجمين بالحرمان، و استسلمت المدينة للحملة بعد أسبوعين من الحصار، واحتل الصليبيون والبنادقة المدينة وقسموا الغنائم فيما بينهم.

وبعد أسبوعين وصل سفراء يحملون عروض الكسيوس الصغير ، وهى تتضمن طلب مساعدة الجيوش الصليبية لإسحق الثانى والكسيوس الصغير من أجل استرداد العرش البيزنطى ، وفى مقابل ذلك : يضعوا الإمبراطورية تحت سلطان البابوية وسيادتها ، يدفعون – علاوة على ذلك – ٢٠٠,٠٠٠ مارك فضة تقسم بالتساوى بين الصليبيين والبنادقة ، وتمويل الحملة بكافة احتياجاتها من المؤن لمدة عام ، وأن يرافق الكسيوس الصغير الحملة الصليبية بنفسه ضد المسلمين إذا أراد القادة منه ذلك.

- وقد دخل الجنود الصليبيون إلى العاصمة كالجراد المنتشر ، حيث أشعل بعضهم النيران فيها ، مما أدى لاحتراق عدد كبير من منازلها . ثم انطلق الجنود يقتلون كل من صادفهم من البيزنطيين حتى أصبح من العسير حصر عدد القتلى . ثم جاء دور النهب الذى لم يقف عند أى حد ، حتى الكنائس والأديرة لم تسلم من النهب والسلب ، ويكفى للتدليل على ذلك ما فعله الصليبيون بكنيسة آيا صوفيا ، فقد اقتحموها وهم سكارى ومزقوا الستائر والمفروشات، وحطموا الأيقونات النادرة، وداسوا الكتب المقدسة بأقدامهم.

❖ نتائج الحملة:

- وهكذا انتهت الحملة الصليبية الرابعة تلك النهاية الدرامية . وقد خرجت هذه الحملة بنتائج هامة غيرت مسار الحركة الصليبية ،

(١) كانت الحملة الرابعة تعتبر نقطة تحول خطيرة فى تاريخ الحروب الصليبية ، إذ فترت بعدها الحماسة الصليبية واتضح أن المصالح الاقتصادية التجارية أخذت تحتل المكانة الأولى فى تفكير المعاصرين .

أن الحملة الصليبية الرابعة زادت من البغضاء والعداء بين الكنيستين الشرقية والغربية ، وحرمت الصليبيين بالشام من مساعدة نظرائهم المسيحيين فى القسطنطينية وقت الشدة ، وجعلت الطريق البرى إلى الشام أصعب منالاً وأشد خطورة على الصليبيين من ذى قبل.

- أن الحملة الصليبية الرابعة جاءت نذيراً بفشل الحركة الصليبية بأكملها. فقد كان من المفروض أن تدعم هذه الحملة مركز الصليبيين بالشام وتعينهم على مقاومة الضغط الإسلامى الواقع عليهم ، لكن الذى حدث هو أنها أدت إلى إضعاف مركزهم بطريق مباشر أو غير مباشر ، ذلك لأن قيام مملكة لاتينية صليبية بالقسطنطينية وبلاد البلقان ، عمل على جذب أعداد كبيرة من الفرسان الصليبيين بالشام الذين فكروا فى التسلل سراً وعلانية إليها لينعموا بقسط من الحياة الهادئة بعيداً عن تهديد المسلمين ومتاعبهم. وكذلك الحال بالنسبة للفرسان الغربيين الذين لجأوا هم الآخرون إلى القسطنطينية ، بدلاً من التوجه إلى الصليبيين بالشام ومساعدتهم ضد المسلمين.

(١) المدينة الإيطالية التي ساهمت بشكل كبير في الحملة الصليبية الرابعة هى..

(ا) بيزا (ب) جنوة (ج) البندقية (د) باليرمو

(٢) البابا الذى كان معاصرا للحملة الرابعة هو .....

(ا) أنوسنت الأول (ب) أنوسنت الثاني (ج) أنوسنت الثالث (د) أنوسنت الرابع

(٣) ماهي النتائج التي ترتبت على الحملة الصليبية الرابعة؟

المحاضرة التاسعة

الحملة الصليبية الخامسة

❖أسباب الحملة الحملة الصليبية الخامسة:

كان من المفروض أن تتجه الحملة الصليبية الرابعة إلى مصر، لكن دوافع أخرى انحرفت بها. وكان هذا حافزاً للبابوية لكى تدعو لحملة صليبية جديدة تهاجم مصر. وكانت مصر إبان تلك الفترة مازالت خاضعة للدولة الأيوبية التى تزعمها السلطان العادل أخو صلاح الدين، الذى بسط سيطرته على مصر وبيت المقدس ودمشق ، فضلاً عن أملاكه فى الجزيرة وقد جعل العادل لنفسه الإشراف على تلك المناطق، فى حين ترك إدارتها الفعلية فى أيدى أولاده؛ فقد جعل الكامل محمد على حكم مصر، والمعظم عيسى فى دمشق والأشرف موسى على شمال الشام.

❖موقف البابوية:

لم تنس البابوية ما حدث فى الحملة الصليبية الرابعة، لذلك دعا البابا أنوسنت الثالث، ومن بعده البابا هونوريوس الثالث، لخروج الحملة الخامسة لغزو مصر. وقد طلب البابا من البندقية أن تمده بوسائل النقل والإمدادات البحرية اللازمة لنقل جيوش الصليبيين.

❖ قادة الحملة:

كان على رأس هذه الحملة عدد من قادة الغرب الأوربى الصغار وقادة الفرق الدينية مثل الاسبتارية وهيئة فرسان الداوية والفرسان التيوتون. وحنا دى برين ملك مملكة بيت المقدس.

❖طريق الحملة:

اتخذت الحملة الطريق البحري إلى مصر فقد أبحرت السفن الصليبية متجهة نحو قبرص ومنها اتجهت صوب عكا ومنها نحو دمياط.

أحداث الحملة:

- استقبل صليبيو الشرق نظرائهم القادمين من الغرب إلى عكا بدرجة كبيرة من البرود. فقد كانت البلاد الخاضعة لهم تعانى المجاعة ، ففى السنة السابقة ساد الجفاف ، بل إن كثير من الصليبيين ماتوا جوعاً. أما الأهم فهو أن الصليبيين فى بلاد الشام لم يكونوا البتة بحاجة إلى حملة صليبية جديدة.

أحداث الحملة:

عرض حنا دى برين على قادة الحملة غزو مصر عن طريق الإسكندرية أو دمياط، ولقى تأييداً للهجوم على مصر عن طريق دمياط. على أنه يلاحظ أن الصليبيين ارتكبوا خطئاً كبيراً بغزوهم مصر عن طريق دمياط والنيل. وكان من المفروض أن يستفيد الصليبيون عندئذ من تجارب عمورى الأول ملك بيت المقدس التى أثبتت أن الوصول إلى القاهرة أمر سهل عن طريق الصحراء الشرقية. (نتذكر أنه: وصل عموري للقاهرة نفسها عبر الطريق البري من سيناء إلى بلبيس ثم القاهرة خلال فترة التنافس مع نور الدين محمود حول مصر أواخر ايام الدولة الفاطمية- وكان جيش نور الدين بقيادة شيركوه ومع ابن اخيه صلاح الدين)

ولكن ربما كان عذر حنا دى برين هو أن عمورى كانت له قاعدة حربية كبرى فى جنوب فلسطين - مدينة عسقلان – استطاع أن يعتمد عليها فى غزو مصر عن طريق الشرق، أما حنا دى برين فلم يجد للصليبيين أية قاعدة على الحدود يمكنهم الارتكاز عليها فى محاولاتهم للقيام بغزو بري لمصر من الناحية الشرقية .

وهكذا اختار الصليبيون النزول إلى دمياط، لا لأن دمياط اقرب الموانئ المصرية للصليبيين بالشام فحسب، بل لأن فرع دمياط يمثل أيضاً طريقاً طيباً ووسيلة سهلة للمواصلات تربط الصليبيين بقواعدهم فى الشام. ونسى الصليبيون مدى ما يمكن أن يتعرضوا له فى غزوهم مصر عن طريق النيل من عقبات طبيعية تتمثل فى السدود والترع والقنوات، مما يجعل وصولهم إلى القاهرة عن هذا الطريق أمراً متعذراً بل مستحيلاً.

موقف الأيوبيين من الحملة:

نزلت الحملة على البر الغربي لمدينة دمياط، وكان مدخل نهر النيل فرع دمياط تسده سلسلة حديدية كبيرة تمر عبر برج يقع في وسط النهر، أطلق عليه المؤرخون اسم « قفل الديار المصري»، وقام الصليبيون بشن هجمات شرسة ومتعددة تمكنوا فيها في النهاية من الاستيلاء على برج السلسلة بعد مقاومة استمرت أربعة أشهر، وعندما وصل الخبر إلى الملك العادل دق على صدره ومات. وبعد وفاة العادل تولى الكامل مسئولية الدفاع عن مصر.

وقد حاول الكامل أن يعوق تقدمهم عبر نهر النيل فأقام جسراً عظيماً بعرض المجرى، لكن الصليبيين قطعوا ذلك الجسر، وعندئذ احضر الكامل عدة مراكب كبيرة مليئة بالحجارة وأغرقها فى النيل ليعوق تقدم السفن الصليبية فى النهر، وفى تلك المرة أيضاً تحايل الصليبيون على تفادى تلك فحفروا

خليجاً هناك كان النيل يجرى فيه قديماً، وأجروا فيه الماء إلى البحر، فتمكنوا من الدوران حول هذه السفن الغارقة ودخول نهر النيل (فرع دمياط).

موقف الأيوبيين من الحملة:

وعلى الرغم من أن الموقف كان يدل على تفوق الصليبيين، إلا أن حناد دى برين بدأ يواجه مشاكل عديدة فى مصر عقب استيلائه على برج السلسلة. ذلك أن عدد كبير من الصليبيين ظنوا أن مهمتهم قد انتهت بسقوط البرج فانسحبوا عائدين إلى بلادهم . وهكذا صار حنا دى برين ينتظر إمدادات جديدة وقد وصلت بالفعل هذه الإمدادات وعلى رأسها المندوب البابوى الكاردينال بلاجيوس. الذي بدأ يتصرف وكأنه قائد الحملة كلها، ولا شك أن ظهور زعيم جديد للصليبيين فى مصر قد أضعف مركز حنا دى برين، فضلاً عن أن الازدواج فى القيادة أنزل أبلغ الضرر بالحملة الصليبية الخامسة.

من ناحية أخرى كان موقف المسلمين بالغ السوء، فقد وصلت اخباراً كثيرة عن ظهور المغول في آسيا وتدميرهم الوحشي للدولة الخوارزمية المسلمة، حتى وصل بعض الفارين منهم إلى بغداد لينشروا الفزع والرعب فيها.

كان موقف الكامل محمد بالغ السوء... فقد حوصرت دمياط، وتكاثرت عليها جموع الصليبيين الوافدين. ومن ناحية أخرى تزايدت هجمات العربان المخربة على القرى المصرية ونهبتها، الأمر الذي شتت الاهتمام وسبب اضطرابا كبيرا في الأراضي المصرية.

في الوقت نفسه اكتشف الكامل مؤامرة دبرها أحد القادة واسمه ابن المشطوب لعزله وتعيين أخيه الفائز مكانه، لدرجة أنه فكر في الفرار إلى اليمن حيث كان يحكم ابنه المسعود.

بعد أن تزعزع موقف الملك الكامل محمد ترك معسكره وتوجه جنوبا إلى أشموم طناح... فتبعه الجيش تاركا خلفه كل ما معهم من مؤن وسلاح، فسقط كل ذلك غنيمة باردة في أيدى الصليبيين.

بعد حصار دام تسعة أشهر كاملة دخل الصليبيون مدينة دمياط في نوفمبر ١٢١٩م وكالعادة سفكوا دماء أهلها وحولها مسجدها الجامع إلى كنيسة.

تجمع الأخوة أبناء العادل وعسكروا في موضع أصبح مدينة المنصورة فيما بعد. وقبض على المتأمرين وتم نفي بعضهم وقتل البعض الآخر.

استنجد الكامل بحكام العالم الإسلامي، بينما لاح خطر المغول في آسيا، وتورادت أنباء عن وحشيتهم وتحطيمهم لدولة خوارزم شاه.

❖احداث الحملة:

لما ساء موقف الملك الكامل عرض على الصليبيين إرجاع مملكة بيت المقدس الصليبية القديمة- اي كل ما استرده صلاح الدين من قبل- لهم ماعدا حصن الكرك وقلعة الشوبك فى مقابل ارجاع دمياط والجلاء عن مصر وعقد معاهدة لمدة ثلاثين عاماً.

كان استثناء حصن الكرك من الصفقة لأن موقعه الاستراتيجي يفصل ما بين مصر والشام جناحي الدولة الأيوبية، وكذلك يتحكم في الطريق البري بين مصر (وأفريقيا والأندلس) من ناحية والحجاز من ناحية أخرى، ومن يتحكم به يستطيع أن يفصل العالم الإسلامي في آسيا عن الشطر الأفريقي منه.

أحداث الحملة:

وقد قبل هذا العرض حنا دى برين وأمراء مملكته والصليبيون الفرنسيون، لكن المندوب البابوى بلاجيوس رفض الموافقة عليه ، وشاركه رأيه الاسبتارية والداوية ، الذين ظنوا أن امتلاك مصر صار أمراً سهلاً .

يعتبر هذا الموقف الصليبي أكبر دليل على أن هدف الحروب الصليبية كلها لم يكن هدفا دينيا كما كان يزعم البابا ورجال الدين، فها هم قادة الحملة الخامسة يرفضون تسلم بيت المقدس، ويفضلون البقاء في دمياط طمعا في اقامة إمارة صليبية جديدة وكبيرة في مصر . فأين الدافع الديني عندهم ؟

والغريب أن رفض السيطرة على بيت المقدس مرة ثانية قد أتى من رجل الدين ومندوب البابا وليس من ملك بيت المقدس، الأمر الذي ينسف تماما مزاعم البابوية بشن الحرب الصليبية على المسلمين لاسترداد المقدسات المسيحية.

ومع أن الظروف كلها كانت فى صالح الصليبيين عقب سقوط دمياط ، إلا أن الانقسامات التى تعرض لها الصليبيون والأخطاء التى وقعوا فيها، أنزلت بهم كثيراً من الأضرار وتسببت فى فشلهم النهائى . حيث لم يستطع حنا دى برين أن يتعاون مع المندوب البابوى بلاجيوس، مما جعله ينسحب عائداً إلى عكا ، تاركاً بلاجيوس يضيع على الصليبيين بقية ذلك العام فى حالة ركود تام. ولم يكن ذلك إلا فى أواخر يونيه عام ١٢٢١م عندما قرر بلاجيوس الزحف على القاهرة ، فأرسل إلى حنا دى برين فى عكا يرجوه العودة ومساعدة الصليبيين فى فتح مصر، وخشى حنا دى برين أن يتهم بعدم التعاون ، فأسرع بالحضور إلى دمياط فى أوائل يوليو فى الوقت الذى شرع الصليبيون فعلاً فى الزحف جنوباً بمحاذاة النيل.

الحملة الصليبية الخامسة

ودارت معركة انتصر فيها المسلمون. ولقد وقفت العوامل الطبيعية إلى جانب المسلمين

حيث كان ذلك الوقت زمن فيضان نهر النيل، والمياه مرتفعة فاض النيل وقطع على الأسطول الصليبى سبل الانسحاب أو الهروب ، وأصبح الصليبيون بين فكى كماشة ، وازدادت حالتهم سوء عندما أمر الكامل بفتح القناطر المقامة على الشاطئ الأيمن لفرع النيل ، فغمرت المياه معسكر الصليبيين.

ولم يلبث أن تنبه الصليبيون إلى خطورة موقفهم ، فأرادوا الارتداد بسرعة نحو دمياط ، ولكن السلطان الكامل أسرع بإرسال ألفى فارس ليقطعوا عليهم خط الرجعة. وهكذا تجمد موقف الصليبيين وأحاطت بهم المياه من كل جانب ، فلا هم يستطيعون القتال فى الوحل ، ولا هم يستطيعون العودة إلى قواعدهم ، ولم يبق لهم إلا طلب الصلح من السلطان الكامل. ومن الملاحظ أن موقف الصليبيين كان عندئذ جد خطير ، لأنه لو صبر الكامل يومين لقضى عليهم ، ولذلك عارض أخوة الكامل هذا الصلح . ولكن الكامل – الذى اشتهر بتسامحه – رأى أن يقبل هذا الصلح خوفاً من قدوم حملة صليبية جديدة.

وفى أواخر أغسطس ١٢٢١م عقدت معاهدة بين الطرفين ، نصت على انسحاب الصليبيين من دمياط ، وأن يكون أمد المعاهدة ثمانى سنوات. وهكذا انتهى أمر الحملة الصليبية الخامسة بالفشل ، حيث أخفقت فى تحقيق الهدف الذى جاءت من الغرب الأوربى لتحقيقه وهو احتلال مصر ، واستعادة بيت المقدس من المسلمين.

وتبادل الطرفان الرهائن لضمان تنفيذ الاتفاقية والغريب أن كلا من المندوب البابوي بيلاجيوس وحنا دي بين كانا بين بين الرهائن الصلبيين لدى المسلمين.

وفي سبتمبر ١٢٢١م جلا الصليبيون عن دمياط ودخلها الملك الكامل في اليوم التالي.

أسباب فشل الحملة:

١- قيادتها المضطربة ، وضعف شخصية يوحنا دى برين الذى تولى قيادة الحملة فى أول أمرها.

٢- فشل المندوب البابوى بلاجيوس فى القيادة نظراً لغطرسته وتجرده من اللياقة مما جعله مكروهاً من عامة الصليبيين ، وكان لهروبه بإحدى سفن الأسطول أثناء معركة دمياط أثر بالغ فى جنود الحملة وكشف بنفسه عن أكبر أخطائه .

٣- بالإضافة إلى ذلك رفض الصليبيين عرض الكامل بالتنازل عن بيت المقدس وكل المدن التى فتحت بعد حطين فى مقابل خروجهم من مصر وكانت تلك فرصة ذهبية نادرة.

٤- اختيار طريق دمياط لدخول مصر وهو اختيار خاطئ.

٥- العوامل الطبيعية وفيضان النيل الذى أعاق تقدم الصليبيين وجهل الصليبين بطبيعة نهر النيل وجغرافية مصر.

٦- تخلى جزء من أمراء الحملة عنها وعودتهم لأوربا بعد الاستيلاء على دمياط مما اضعف الحملة.

تدريبات

(١) كان هدف الحملة الصليبية الخامسة مهاجمة مدينة ....

(ا) الاسكندرية (ب) دمياط (ج) رشيد (د) العريش

(٢) تصدي للحملة الخامسة الملك الأيوبى .....

(ا) العادل (ب) الكامل (ج) صلاح الدين (د) نجم الدين

(٣) ماهي أسباب فشل الحملة الصليبية الخامسة ؟

المحاضرة العاشرة

❖ الحملة الصليبية السادسة:

❖ أسباب الحملة:

❖ موقف البابوية من الحملة:

❖أحداث الحملة:

أولا نبذة عن الإمبراطور فريديريك الثاني:

كان الإمبراطور فريدريك الثاني من أعجب شخصيات العصور الوسطى، فقد كان يجيد عدة لغات منها العربية بطلاقة، وله تذوق في الشعر العربي، وقد نشأ في صقلية التي تشبعت بالحضارة الإسلامية، وتعرف على الإسلام والمسلمين منذ صغره، فتعلم أن يكون متسامحا محبا لهم.

ولذلك أطلق عليه المعاصرون لقب أعجوبة الدنيا *stupor mundi*

كان فريدريك على عداء ضار مع البابوية في عصره.

أسباب الحملة:

(أ) النزاع الذى قام بين الكامل محمد وأخوته واستنجاد كل فريق بطرف ثالث، فاستنجد المعظم عيسى بالخوارزميين فى حين استنجد الكامل بالإمبراطور فردريك الثانى إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة فى غرب أوربا. ومن الطبيعى أن يطرح سؤالاً على مسرح الأحداث، هو لماذا استنجد الكامل بالإمبراطور فردريك على وجه الدقة دون غيره؟ والإجابة ترجع إلى عدة اعتبارات منها:

١- شخصية فردريك نفسه، الذى نشأ وتربى فى جزيرة صقلية، وكانت تلك الجزيرة ملتقى الحضارة العربية فى أوربا وكان فردريك يميل للحضارة الإسلامية ومعجباً بكبار علمائها، ولم يكن الإسلام فى نظره كتاب مغلق، كما أن المسلمين لم يكونوا مجرد قوم من الكفار الذين يستحقون الفناء فى نظره، وجعله ذلك يميل للمسلمين ويضم لحاشيته عدد منهم.

❖ أسباب الحملة: تابع

٢- يضاف لذلك مماطلته لطلبات البابوية بالخروج على رأس حملة صليبية إلى الشرق، وميله للتسامح وحل المشكلات بالطرق الدبلوماسية، وهى نفس طبيعة الكامل الأيوبى ، وربما كانت تلك الأسباب هى التى دفعت الكامل لاختيار فردريك لطلب المساعدة منه.

(ب) وافق فردريك على مساعدة الكامل ضد أخوته وكانت له أسبابه التى أدت لموافقته على طلب الكامل منها:

١- تعهد الكامل له مقابل ذلك أن يعطيه بيت المقدس وكل ما فتحه صلاح الدين بالساحل الشامى.

٢- رفضه المتتالى لطلب البابوية لخروجه فى حملة صليبية مما أدى لإصدار البابوية قرار بالحرمان الكنسى ضده حتى تجبره على القيام بالحملة.

٣- يضاف إلى ذلك أنه مع نداءات البابوية المتكررة له قد وعد بالخروج فى حملة إلى الشرق، وقد اعتذر عن الخروج أربع مرات ليؤجلها إلى ميعاد آخر فى كل مرة، فكان عليه أن يثبت حسن نواياه، وبعد قرار الحرمان أدرك فردريك أن مصلحته تقتضى القيام بحملة صليبية حتى يفوت على البابا غرضه فى إظهار الإمبراطور فى صورة المسيحى العاق.

٤- وكان مما حفزه أيضاً للخروج فى تلك الحملة زواجه من الأميرة إيزابيلا ابنة حنا دى برين ووريثة عرش مملكة بيت المقدس، هذا الزواج الذى ترتب عليه زوال وصاية حنا على المملكة، ولم تلبث أن توفيت إيزابيلا بعد قليل من إتمام الزواج وتركت ابنا صغيراً على عرش المملكة فتحول فردريك إلى وصى على عرش مملكة بيت المقدس، وعليه كان من الأهمية تواجده لإدارة شئون مملكته الجديدة.

❖ موقف البابوية من الحملة:

إذا كانت الحملات الصليبية الأخرى قد حظيت بعطف البابوية وتمتعت ببركتها ، فإن حملة فردريك جاءت ملعونة من البابا وعلى رأسها إمبراطور محروم من الكنيسة وعطفها. وقام البابا – للمرة الأولى والأخيرة فى تاريخ البابوية والحروب الصليبية – بإرسال مبعوث إلى ملوك بنى أيوب بوجه عام، والسلطان الكامل بوجه خاص ، محرضاً إياهم على عدم إعطاء الإمبراطور فردريك بيت المقدس، حتى لا يكون ذلك سلاحاً يشهره فى وجه البابوية، ويعتمد عليه فى دعم سلطته فى الغرب الأوربى.

وكان البابا يرى أنه لا يمكن لإمبراطور محروم من الكنيسة أن يقود حملة صليبية ، وليس هذا فحسب ولكن أيضاً وصف هذه الحملة بأنها حملة قراصنة، ولم يكن أمام فردريك إلا أن يستمر فى هدفه ولا يلقى بالاً للبابوية.

❖ موقف البابوية من الحملة:

ويعلل بعض المؤرخين موقف البابوية هذا بأنه إذا نجح الإمبراطور فى قصده بالشرق، فإن معنى هذا أن الله ضد حكم البابوية فى النزاع بينها وبين الإمبراطور فردريك، وكان من السهولة بمكان أن يصدق الناس خيانة البابا. ولم تكتف البابوية بذلك بل أرسلت إلى الصليبيين فى الشرق حتى لا يساعدوا هذا الإمبراطور المحروم من الكنيسة.

❖ أحداث الحملة:

حضر فردريك إلى الشام وليس معه سوى خمسمائة فارس. وتدل جميع الشواهد على أن فردريك أتى إلى الشام ليفاوض لا ليحارب، ولم يكن فى سياسة فردريك هذه شئ غريب بالنسبة له، لأنه اعتمد على وعود السلطان الكامل، وهى الوعود التى نصت على تسليم فردريك بيت المقدس مقابل قيامه بمساندة الكامل ضد أخيه المعظم .

❖ أحداث الحملة:

وعند وصوله إلى الشام صدم وانهارت آماله بسبب التغير المفاجئ فى سياسة الكامل . ذلك أن المعظم عيسى قد توفى أواخر، تاركاً ابنه الناصر داود يخلفه فى ملكه. وكان الناصر عند وفاة أبيه شاباً فى العشرين من عمره محباً للهو عديم الخبرة، وهكذا استقرت الأوضاع وهدأت بين أبناء البيت الأيوبى، ولم يعد الكامل فى حاجة إلى معونة فردريك.

ويصور لنا المؤرخون المعاصرون حيرة السلطان فى ذلك الوقت لأن فردريك لم يحضر إلى الشام إلا بناء على طلبه. وفى ذلك يقول المقريزى " تحير الملك الكامل ، ولم يمكنه دفعه ولا محاربته لما كان قد تقدم بينهما من الاتفاق فراسله ولاطفه ".

❖ أحداث الحملة:

ويبدو أن الكامل أحس بأنه ليس من مصلحته ولا مصلحة البيت الأيوبى أن يصطدم بالصليبيين فى الشام فى تلك المرحلة التى شهدت تعرض المنطقة لتهديد الخوارزمية ومن بعدهم المغول ؛ ولذا حرص على ملاطفة الإمبراطور. ومن ناحية أخرى أدرك الكامل أن أى تساهل مع الصليبيين أو تفريط فى حقوق المسلمين سيثير ضده الرأى العام فى العالم الإسلامى وخاصة فى دمشق ، التى كانت أكثر إحساساً من غيرها بالخطر الصليبى .

ومهما يكن من أمر فإن موقف فردريك قد ساء فى الشرق، ذلك أنه خرج من بلاده محروماً من الكنيسة مغضوبا عليه من البابوية، معتمداً على وعود السلطان الكامل بمنحه بيت المقدس مما يضمن له تصحيح مركزه فى الغرب الأوربى . ولو كان فردريك يعلم أن الكامل سينكث بوعوده لما خرج إلى الشرق أصلاً، أو لكان استعد استعداداً جدياً لحرب المسلمين ، ولاصطحب معه جيشاً كبيراً يضاهى الحملات الصليبية السابقة.

وهكذا التقت وجهتا نظر الإمبراطور فردريك الثانى والسلطان الكامل على ضرورة الوصول إلى حل عن طريق المفاوضات، الإمبراطور يريد من خلال المفاوضات أن يحصل على كل أو جل ما سبق أو وعد به، والكامل يريد عن طريق المفاوضات أيضاً أن ينزل بالتنازلات التى سبق أن قدمها إلى الحد الأدنى.

لذلك أسرع فردريك بإرسال سفارة للكامل مصحوبة ببعض الهدايا الثمينة، مطالباً إياه بتحقيق وعده وتسليم بيت المقدس، أمر الملك الكامل رسوله - الذى أرسله لفردريك رداً على سفارته – بالمماطلة فى المفاوضات مع فردريك.

وقد تنكر الكامل لوعوده وأعلنها صراحة أنه كان سيعطى بيت المقدس للإمبراطور ثمناً للمساعدة التى كان ينتظرها منه أما وقد تبدلت الظروف ولم يعد السلطان فى حاجة إلى تلك المساعدة فإنه لا يستطيع التفريط فى بيت المقدس . وقد ساء موقف فردريك لاسيما بعد أن جاءته الأخبار من الغرب بأن البابا استغل فرصة غيابه واعتدى على ممتلكاته . ولعل هذه الأخبار فى حد ذاتها كانت كافية لدفع فردريك إلى التذلل للكامل، حتى حكى عنه أنه كان يبكى بكاء مراً فى مراحل المفاوضات. ولا أدل على ذلك من رسالة أرسلها الإمبراطور فردريك إلى الكامل أثناء المفاوضات يقول فيها " أنا مملوكك وعتيقك وليس لى عما تأمر به خروج ..... فإن رأى السلطان أن ينعم على بقبضة البلد فيكون صدقة منه، ويرتفع رأسى بين ملوك البحر ".

ولم تلبث هذه الاستعطافات أن أثرت فى نفس الكامل، وهو الرجل الذى عرف عنه تسامحه المفرط، فوافق على منح فردريك لقمة سائغة دون قتال . ويبدو أن استعطاف فردريك للكامل كان مصحوباً بقدر من الإصرار على ضرورة وفاء الكامل بما كان قد تم الاتفاق عليه. لكن بعد أن أدرك الإمبراطور فردريك أن المفاوضات والتذلل بهذه الطريقة لا تجدى، فكر فى عمل شئ يمكن أن يدفع الكامل لكى ينهى هذه المفاوضات ويفى بما سبق أن وعد به . لذلك لجأ إلى التلويح بالقوة، فقام بتحصين يافا واستعد لشن حرب ضد القدس وقيسارية ، كما أرسل إلى حاكم مالطة ليرسل له عشرين سفينة حربية.

أدت تلك التحركات من جانب فردريك إلى خوف الكامل، الذى خشى من حدوث تحالف بين فردريك والقوى الصليبية فى بلاد الشام للقيام بعمل مشترك ضد المسلمين .

وفى تلك المرحلة بالذات كان الكامل غير مستعد لفتح جبهة جديدة لأن ذلك معناه وقوعه بين ثلاثة أعداء : ابن أخيه الناصر داود من ناحية، والصليبيين من ناحية أخرى، والخوارزمية الذين استنجد بهم الناصر داود من ناحية ثالثة . وعلى أية حال لم يرغب الكامل فى الدخول فى صدام مع فردريك فى ظل هذه الظروف ، وخاصة عندما وصلت درجة الاستعطافات بالإمبراطور إلى أن جرد نفسه من أسلحته وأرسلها إلى الكامل، وهى عبارة عن : الخوذة والسيف ودرع الرأس.

وفى ضوء هذه الحقائق وافق الكامل على عقد اتفاقية يافا مع فردريك فى فبراير ١٢٢٩م . وبمقتضى هذه الاتفاقية تقرر الصلح بين الطرفين لمدة عشر سنوات، على أن يأخذ الصليبيون بيت المقدس وبيت لحم والناصرة وصيدا .

❖ اتفاقية يافا:

- وبخصوص بيت المقدس اشترط الكامل أن تبقى على ما هى عليه ، فلا يجدد سورها ، وأن يكون الحرم بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى بأيدى المسلمين، وتقام فيه الشعائر الإسلامية. وهكذا استطاع فردريك مع ضعف إمكاناته أن يحقق من المكاسب ما عجزت عنه جهود ريتشارد قلب الأسد بإمكاناته الضخمة، مع ملاحظة أن فردريك حصل على بيت المقدس دون أن يدخل معركة أو يخسر رجلاً واحداً وقد أثارت هذه الاتفاقية ردود أفعال واسعة فى العالم الإسلامى ، خاصة بعد تسليم بيت المقدس للصليبيين، حيث أنكر المسلمون على الكامل تسليمه القدس وهى المدينة ذات القداسة ، حيث أنها أولى القبلتين وبها المسجد الأقصى، هذا غير الدماء التى بذلها صلاح الدين حتى استردها من الصليبيين، وعبر عامة المسلمين عن شعورهم بالحسرة والألم والضجيج والعويل. وندد الخطباء على المنابر بالملك الكامل وما فعله.

ويمكن القول بأن هذه الاتجاهات المضادة ضد الاتفاقية التى عقدها الكامل ، قد دفعته لمحاولة الدفاع عن نفسه ، ويهون من أمر هذه المعاهدة، حيث أوضح أن الأماكن المقدسة كالمسجد والحرم ظلت فى أيدى المسلمين ، كما ستظل شعائر الإسلام تمارس بصورة عادية ، كما أنه ترك المدينة دون تجديد أسوارها وبالتالى يمكنه استردادها فى أى وقت شاء.

❖ نتائج الحملة:

وعلى الرغم من المكاسب التى حصل عليها الصليبيون ، فإن موقفهم من هذه الاتفاقية كان غريباً جداً ، فقد اتفق موقفهم مع موقف المسلمين الغاضب منها . فقد رأوا أن استرجاع بيت المقدس كان يجب أن يتم بحد السيف وليس بالاستعطاف والاستجداء كما فعل فردريك لاسيما وأنه ترتب على حصول الصليبيين على المدينة بالطريقة السلمية أن احتفظ المسلمون بكثير من حقوقهم فيها ، كما أبقوا لأنفسهم المسجد الأقصى وقبة الصخرة .

فضلاً عن ذلك فإن بعض الصليبيين كان يرى أنه طالما أن الاتفاقية لم تشمل ضم الكرك والشوبك ، فإنه لا قيمة لها وبرروا أنه يمكن للمسلمين استرداد بيت المقدس بسهولة من خلال تلك المناطق . علاوة على ذلك فإن الصليبيين كانوا قد رفضوا ذلك العرض فى الحملة الخامسة ، ولو كان الصليبيون يرون فيه مصلحة لرضوا بها عندما عرضه الكامل عليهم . وبالنسبة للبابوية ، فقد استغلت هذا الوضع ، وبدأت تسئ إلى الإمبراطور فردريك فى الأوساط الأوربية ، ووصف البابا أعمال فردريك بأنها مخجلة فى تفاوضه مع المسلمين ، وكذلك سمح لهم بالعبادة فى القدس.

ولم يكن هناك متسع من الوقت أمام فردريك لمزيد من النقاش والجدل ، فاتجه من فوره إلى بيت المقدس فى ١٧ مارس٦٢٦هـ / ١٢٢٩م ليتسلمها من يد القاضى شمس الدين الذى أرسله الملك الكامل مع الإمبراطور ليكون فى خدمته وفى اليوم التالى دخل فردريك كنيسة القيامة ليتوج نفسه بيده ، بعد أن رفض رجال الكنيسة تتويج إمبراطور محروم .

ويرى بعض المؤرخين أن فردريك قصد أن يتوج نفسه بيده فى كنيسة القيامة ، إشارة منه فى هذا المكان ذى الأهمية الدينية القصوى، إلى أنه لم يأخذ التاج عن وساطة الكنيسة ، وإنما أخذ التاج وتلقى سلطانه من الله مباشرة. وعلى الرغم من التحريم والمنع لم يستطع الصليبيون فى بيت المقدس سواء منهم المقيمون بها أو القادمون عليها كبح جماح فرحهم بتحرير القدس.

وخلال تواجده فى القدس صدرت من الإمبراطور تصرفات أثارت دهشة المسلمين والمسيحيين ، فقد فكر فى زيارة المسجد الأقصى ، وعندما علم أن الكامل أصدر أوامره إلى المؤذنين بعدم إقامة الأذان

طيلة وجود فردريك احتراماً لمشاعره رفض ذلك، كما رفض دخول أحد القسيسين للمسجد الأقصى، وغيرها من التصرفات التى أثارت حيرة المتابعين له.

ولم يرغب فردريك فى البقاء فى القدس كثيراً ، وتوجه هو ورجاله إلى يافا حيث مكث بها يوماً واحداً ومنها اتجه صوب عكا ، ولم تلبث أن وصلته الأنباء وهو فى عكا باعتداء الجيوش البابوية على أراضيه وممتلكاته فى إيطاليا ، وبأن حنا دى برين تحالف مع البابا ضده ، لذلك أبحر فردريك من عكا فى مايو ١٢٢٩م قاصداً قبرص ومنها اتجه إلى إيطاليا.

وهكذا انتهت بسرعة واحدة من أغرب الحملات فى تاريخ الحروب الصليبية ، حملة حقق فيها الجانب الصليبى نجاحات لم تحققها الحملات السابقة برغم أنه لم يبذل فيها ما بذل من دماء وجهود فى تلك الحملات .

تدريبات

(١) كان من أسباب الحملة الصليبية السادسة استنجاد الملك الكامل بالإمبراطور ....

(ا) فردريك باربا روسا (ب) فردريك الثاني (ج) فردريك الثالث (د) فردريك الرابع

(٢) نتج عن الحملة السادسة اتفاقية .....

(ا) الرملة (ب) حطين (ج) يافا (د) عكا

(٣) ماهي أسباب مقدم الحملة الصليبية السادسة ؟

المحاضرة الحادي عشر

❖ الحملة الصليبية السابعة:

❖ أسباب الحملة:

❖أحداث الحملة:

❖ أسباب فشل الحملة:

❖ أسباب الحملة الصليبية السابعة:

(١) النزاع بين أفراد البيت الأيوبي وما ترتب عليه:

- حيث تحالف الناصر داود والصالح إسماعيل ضد الصالح نجم الدين أيوب. واستنجد الطرفان بالصليبيين فى بلاد الشام وقدما عرضاً مشتركاً وهو تسليم بيت المقدس بالكامل بما فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وهى المواضع التى كانت تحت سيطرة المسلمين بمقتضى اتفاقية يافا.

- كانت تلك فرصة تاريخية نادرة للصليبيين ؛ فقد قدم لهم البيت الأيوبى بيت المقدس بالكامل لأول مرة منذ بداية الصراع، وهو الأمر الذى لم يجرؤ الكامل نفسه على فعله. وقد حاول الصليبيون فى البداية أن يحتفظوا بهذا المكسب دون خسائر لكنهم فى النهاية كان عليهم مساندة فريق على حساب الآخر. ولما كان فرسان الداوية يفضلون الهجوم على مصر، فقد استقر رأى الصليبيين على الانضمام للصالح إسماعيل ومهاجمة مصر.

❖ أسباب الحملة:

- على الجانب الآخر، لم يجد الصالح أيوب أمامه سوى البحث عن حليف آخر لمواجهة هذا التحالف القوى ، ووجد ضالته فى الخوارزميين فعرض عليهم مساعدته، فرحبوا بهذا العرض طمعاً فى الحصول على ترضية خاصة منه. وبالفعل تقدمت القوات الخوارزمية واستطاعت أن تستولى على بيت المقدس دون تدخل من الصليبيين أو حتى حلفائهم المسلمين. وبعد ذلك اجتمعت قوات الخوارزميين مع جيش الصالح أيوب والتقوا بجيوش الصليبيين وحلفائهم بالقرب من غزة، حيث دارت معركة حامية الوطيس فى أكتوبر ١٢٤٤م انتهت بهزيمة ساحقة للصليبيين وحلفائهم. وبعد هذا الانتصار استطاع الصالح ايوب

أن يفرد سيطرته أيضاً على دمشق، وبالتالى أعاد توحيد الدولة الأيوبية، وامتدت سيطرته لتشمل مصر ودمشق وبيت المقدس.

- الخوارزمية هم أتباع الدولة الخوارزمية في وسط آسيا التي حطمها المغول ووصلوا إلى بلاد الشام وقدموا خدماتهم للقوى الإسلامية المحلية.

- وقد بادر بطريرك بيت المقدس بإرسال سفارة إلى الغرب الأوربى بعد استيلاء الخوارزمية على بيت المقدس عام٦٤٢هـ / ١٢٤٤م ليشرح للبابوية وملوك الغرب حالة بيت المقدس، وخطورة موقف الصليبيين بالشام، ويطلب منهم العون، وأسفرت جهود هذه السفارة عن عقد مجمع ليون عام٦٤٣هـ /١٢٤٥م لبحث هذه المسألة. وكعادة البابوية فى أعقاب كل كارثة تحل بالصليبيين فى الشرق ، دعت لخروج حملة صليبية جديدة.

(٢) دوافع الملك لويس التاسع :

- لم تجد البابوية آذاناً صاغية لدعوتها لدى ملوك وأمراء أوربا إلا عند لويس التاسع ملك فرنسا ، وهو الذى عرف بتقواه وورعه حتى لقب بالقديس. وقد كان لدى الأخير دوافعه لتلبية رغبة البابوية والخروج على رأس حملة صليبية جديدة، فقد وقع فريسة مرض عضال ونذر أن يخرج فى حملة صليبية فى حال شفائه فلما تحقق الشفاء شرع فى الخروج لهذه الحملة. بجانب رغبته فى تحرير بيت المقدس والثأر مما حدث للصليبيين فيها على يد الخوارزمية . كذلك كان هناك دافع استعمارى حيث كان لدى لويس التاسع رؤية اقتصادية لتكوين مستعمرات فرنسية جديدة فى النطاق البحري، كذلك لا نغفل رغبته فى زعامة أوربا للمشروع الصليبى.

(٣) سبب عسكرى:

- توجس الصليبيين الدائم من الدولة الأيوبية؛ فمنذ أن سقطت الدولة الفاطمية وحلت محلها الدولة الأيوبية، شعر الصليبيون فى بلاد الشام بالخطر، وباتوا بين شقى الرحى، وصار هدفهم منذ ذلك الحين هو إزالة هذه الدولة لإعادة بيت المقدس إلى حظيرتهم. وكان هذا السبب هو الدافع لإرسال الحملة الصليبية الخامسة وكذلك الحملة الصليبية السابعة.

❖ أحداث الحملة:

- وفى الوقت الذى أخذ فيه لويس التاسع يواصل استعداداته لحملته الصليبية، إذا بأخبار الحملة تتسرب إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب عن طريق الإمبراطور فردريك الثانى ، الذى ظل على علاقته الودية بالكامل ومن بعده ابنه الصالح أيوب، لذلك أرسل للأخير سراً يخبره بعزم ملك فرنسا على الخروج فى حملة صليبية باتجاه مصر، وكان الصالح أيوب مريضاً فى دمشق عندما بلغته تلك الأخبار، فرحل إلى مصر ونزل عند أشموم طناح قريبا من دمياط ليكون على مقربة من ميدان العمليات الحربية.

❖ أحداث الحملة:

استغرق لويس فى إعداد حملته ثلاث سنوات، وكان قد عقد عام٦٤٣هـ /١٢٤٥م مجمعاً كبيراً حضره البابا وكبار رجال مملكته ورجال الدين، وحث الجميع على المشاركة فى هذه الحملة . وقبل الرحيل من فرنسا اتخذ لويس الإجراءات اللازمة لترتيب شئون مملكته ، فجعل أمه نائباً عنه فى حكم فرنسا، وجمع البارونات وكبار رجال الدولة واقسموا يمين الولاء والإخلاص للملك وعائلته فى مدة غيابه خارج البلاد.

جهز لويس أسطولاً كبيراً لنقل الجنود، واتفق مع ملك قبرص هنرى الأول Henry I على مد حملته بما تحتاجه من مؤن غذائية أثناء مروره بالجزيرة، ولم تشارك مدينة البندقية فى الحملة فى البداية حرصاً على مصالحها التجارية فى مصر، فى حين شاركت بدلاً منها بيزا وجنوة .

وقد وصل لويس إلى قبرص فى سبتمبر ١٢٤٨م ، حيث وجد هنرى وممثلى الداوية والاسبتارية فى استقباله. وعلى الرغم من رغبة لويس فى التحرك السريع نحو مصر ، فإن كبار رجاله نصحوه بالتريث حتى يتجمع باقى الجيش واستكمال ما تبقى من مؤن . وقد أضرت هذه النصيحة بالحملة ، فقد أضاع الفرنسيون وقتاً طويلاً دون فائدة وأدى ذلك لنفاذ المؤن ، ولم يستطيعوا مغادرة قبرص قبل تدبير مؤن جديدة . وفى مايو ١٢٤٩م أصبح لويس مستعداً للإبحار صوب مصر.

ولم يكن اختيار مصر كهدف للحملة أمراً جديداً ، فقد أدرك الصليبيون منذ وقت طويل أنها مفتاح بيت المقدس ، وأن الاستيلاء عليها يحقق لهم الكثير من أهدافهم . كذلك كان اختيار الحملة للهجوم على دمياط يسير فى نفس الطريق ، حيث أدرك الصليبيون أهميتها الجغرافية والتجارية ، فضلاً عن أنها كانت اقرب الموانى إلى بيت المقدس وهى الهدف الأساسى الذى قامت من أجله الحملة ، بجانب أن الاستيلاء عليها كان يؤدى مباشرة إلى التقدم للقاهرة عاصمة الدولة ومقر حكمها.

وقد مهد لويس لهجومه على دمياط بنوع من حرب الأعصاب ، فاتبع أسلوب المغول الخاص بإرسال رسائل التهديد والوعيد والمبالغة إلى حاكم البلد الذى ينوون غزوه ليسقط فى يده ويستسلم دون مقاومة . فلم يكد يصل إلى دمياط فى يونيه ١٢٤٩م حتى أرسل للصالح أيوب رسالة عنيفة يشرح له موقف المسلمين فى الأندلس ويطلب منه التسليم فوراً . وقد رد عليه الصالح أيوب برسالة تندد بغروره ، ويذكره بمصير الحملات الصليبية السابقة.

والواقع أن التحذير الذى أرسله الإمبراطور فردريك الثانى أفاد الصالح أيوب ، فأسرع فى تحصين دمياط وتزويدها بالمؤن والعتاد وعهد إلى عرب بنى كنانة بمهم الدفاع عنها ، كما عهد إلى الأمير فخر الدين يوسف بالوقوف على رأس قوة على البر الغربى لفرع دمياط لمنع الصليبيين من النزول عليه. وفى يوم السبت ٥ يونيه بدأ الصليبيون يشرعون فى النزول إلى البر الغربى لدمياط ، ولم تكن هذه العملية بالأمر اليسير لأن مياه الشاطئ كانت ضحلة ، مما اضطر الصليبيين إلى ترك سفنهم الكبرى فى عرض البحر وانتقلوا إلى البر فى قواربهم الصغرى ، وألقوا أنفسهم فى الماء وعلى رأسهم الملك لويس التاسع حتى نجحوا فى الوصول إلى البر.

على الجانب الآخر حاول الأمير فخر الدين التصدى للصليبيين ومنع وصولهم للشاطئ ، لكنه عجز عن ذلك لأن الصليبيون كانوا يندفعون بشدة نحو البر ، وعجزت القوات الأيوبية عن التصدى لهم . وقد أرسل الأمير فخر الدين بطاقات استغاثة للسلطان الصالح أيوب عن طريق الحمام الزاجل ، لكنه لم يتلق أى رد من السلطان مما جعله يعتقد بوفاة السلطان ، وسرعان ما انتشر هذا الاعتقاد فى المعسكر الأيوبى فى دمياط.

ويبدو أن أطماع الأمير فخر الدين بعد أن اعتقد بوفاة السلطان جعلته لا يهتم بالتصدى للصليبيين لذلك قرر الانسحاب والتفريط فى دمياط بسهولة . وتبعه الجند فى انسحابهم دون نظام أو تفكير حتى أنهم نسوا فى تراجعهم أن يحطموا الجسر الذى يربط البر الشرقى بالبر الغربى وتركوه على حاله . أما جنود حامية دمياط من عرب كنانة فلم يكن حالهم أفضل فقد انسحبوا هم الآخرين وتركوا المدينة دون حماية.

وعند الصباح دخل الصليبيون المدينة دون قتال ، وقد وجدوها دون حامية فخشوا أن تكون مكيدة ، فأرسلوا طلائع جيشهم فى البداية للتأكد ، وسرعان ما تأكدوا من خلو المدينة من الجند فدخلوها بسهولة تامة واستولوا على ما بها من أسلحة وعتاد ومؤن . وبعد ذلك قام لويس بمحاولة تحويلها إلى مدينة لاتينية ، وقام بتحويل مسجدها إلى كنيسة كبرى.

- وقد أثار خبر سقوط دمياط بهذا الشكل المؤسف غضب الصالح أيوب حتى أنه أمر بإعدام عدد من كبار عرب الكنانة المكلفين بالدفاع عنها لتخاذلهم ، كما اشتد حنقه على الأمير فخر الدين لكنه أسر ذلك فى نفسه لحرج الموقف. وقد فضل الانسحاب بجيشه إلى المنصورة ، حيث قام بتنظيم جيشه وتحصين المدينة وإقامة أسوارها وتجديد بنائها وتزويدها بالسلاح والعتاد – برغم اشتداد المرض عليه - انتظاراً لمقدم لويس التاسع وجيشه.

- ولم يستفد الصليبيون من الأخطاء التى وقعت فيها الحملة الخامسة عام٦١٦هـ /١٢١٩م ، حيث لم يستغل لويس التاسع الفرصة السانحة بعد الاستيلاء على دمياط فى التقدم نحو القاهرة قبل أن يفيق الأيوبيون من هذه الصدمة ، وقبل حلول الفيضان بنهر النيل . بل مكث لويس فى دمياط خمسة أشهر كاملة ينتظر وصول مساعدات من أخيه . وقد ساعد هذا التباطؤ من جانب الصليبيين السلطان الصالح أيوب فى الاستعداد وإعادة تنظيم جيشه. وأخيراً وصلت الإمدادات الصليبية فى أكتوبر٦٤٧هـ / ١٢٤٩م ، فقرر الصليبيون الزحف نحو القاهرة . ولم يكد لويس يشرع فى الزحف نحو القاهرة حتى توفى الصالح أيوب فى نوفمبر ١٢٤٩م.

- ولاشك أن وفاة الصالح أيوب فى تلك الظروف الحرجة جاءت خسارة كبيرة لعدم وجود من يحل محله بسرعة فى حكم البلاد وفى مواجهة الغزو الصليبى . وكان له ابن واحد اسمه توران شاه ، وهو شاب مستهتر عديم الخبرة ، كان خلال تلك الفترة ينوب عن والده فى حصن كيفا وديار بكر في شمال بلاد الشام.

- وخلال ذلك ظهرت على مسرح الأحداث شجر الدر، زوجة الصالح أيوب ، التى أدركت خطورة إعلان وفاة الصالح فى تلك الفترة الحرجة ، وعدم وجود حاكم للبلاد فى ظل غياب توران شاه ، لذلك أخفت خبر موت زوجها ، وأرسلت تستدعى على عجل ابنه من حصن كيفا ولم تنتظر مقدم الأمير الشاب بل قامت بإدارة شئون البلاد باستخدام دهائها حتى لا يكتشف أحد غياب زوجها المتوفى.

- - وبرغم حرص شجر الدر على كتمان خبر وفاة زوجها ، إلا أن الخبر تسرب لمعسكر الصليبيين عن طريق جواسيسهم ، وسارع لويس التاسع لاستغلال الفرصة قبل مقدم تورانشاه . وعندما تحرك الجيش

الصليبى جنوباً تاركاً دمياط اختار لويس طريق الدلتا الكثير الترع والقنوات فسار الصليبيون على الضفة الشرقية لفرع دمياط ، وخلال سيرهم تعرضوا للعديد من الهجمات ، بجانب مصاعب عبور القنوات والترع . وأخيراً وصل الصليبيون إلى فارسكور وتقدموا منها حتى أصبحوا قبالة المنصورة ، ولم يعد يفصلهم عنها سوى البحر الصغير وهو فرع صغير متفرغ من نهر النيل متجها إلى بحيرة المنزلة، واستطاع الصليبيون عبور البحر الصغير وهاجموا القوات الأيوبية وقتل الأمير فخر الدين قائد الجيش الأيوبى مما جعل الأيوبيين فى موقف حرج.

وبرغم هذا التقدم الصليبى إلا أن لويس التاسع لم ينخدع وأمر قواته بعدم التوغل فى المنصورة حتى ينظم صفوفه . لكن أحد القادة الفرنسيين أغراه الوضع ولم يستمع لنصيحة لويس وتقدم بقواته فى المنصورة . وكان من حسن حظ الأيوبيين ظهور شخصية قوية فى قيادة الجيش هو ركن الدين بيبرس الذى كان يتزعم المماليك البحرية واستطاع معهم أن يهزم القوات الصليبية هزيمة قاسية فى معركة المنصورة نوفمبر ١٢٤٩م.

وفى تلك الأثناء وصل توران شاه إلى مصر فى فبراير٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ، وقد ارتفعت الروح المعنوية للجيش بقدوم سلطانهم الجديد خاصة بعد أن حقق الجيش الأيوبى انتصارات متتالية على القوات الصليبية. لكن السلطان الجديد لم يكن كيساً فطناً مثل أبيه ، فاتبع سياسة عنيفة مع شجر الدر وأمراء المماليك مما أدى لغضبهم منه وتربصهم به. وعلى الجانب الآخر وبعد الخسائر المتتالية للجيش الصليبى ، أرسل مندوبا عنه إلى توران شاه يطلب الصلح ، وقد عرض تسليم دمياط والأراضى التى أستولى عليها فى مقابل تنازل توران شاه عن بيت المقدس وبعض المدن الساحلية بالشام. وكان من الطبيعى ألا يحوز هذا العرض قبول الجانب الأيوبى فى ظل الأوضاع المتردية للحملة الصليبية فى مصر.

وبعد هذا الرفض من جانب توران شاه لم يعد أمام لويس التاسع سوى أمرين : إما أن يواصل الحرب ، وهو الأمر الذى لم يعد بمقدوره . وإما أن يتراجع إلى دمياط ، وكان هذا الحل هو الأقرب للتنفيذ ، وبالفعل انسحب لويس مع جيشه وعبر للضفة الأخرى من النيل ، لكن جنوده نسوا تحطيم الجسر الذى عبروا عليه مما سمح للجيش الأيوبى وفرق المماليك البحرية بمهاجمة الجيش الصليبى ، ودارت معركة حامية الوطيس عند فارسكور انتهت بهزيمة الصليبيين ومقتل الكثير من جنود الجيش الصليبى ووقع الآلاف منهم فى الأسر ومن بينهم لويس التاسع نفسه الذى كان قد أصابه المرض ولم يعد يقوى على القتال ضد الجيش الأيوبى . وقد تم إيداع الملك الفرنسى فى دار القاضى ابن لقمان فى المنصورة.

- وبعد أسر لويس التاسع تم فتح بابا المفاوضات بينه وبين توران شاه مرة أخرى ، وقد طلب الأخير من لويس التاسع أن يسلمه بعض القلاع الصليبية لكن لويس اعتذر متعللاً بأنه لا يمكنه تسليم أرض ليست فى حوزته. وأمام ذلك تنازل توران شاه عن هذا الشرط ولكنه طلب من لويس أن يقدم دمياط كفدية له بجانب مبلغ ضخم من المال لفك أسره . ولم يكن أمام لويس التاسع سوى قبول هذا العرض وتم عقد صلح بين الطرفين لمدة عشر سنوات ، وأقسم الطرفان أن يحترم شروط هذا الصلح.

- وقبل تنفيذ الصلح قتل توران شاه على أيدى المماليك عام٦٤٨هـ / ١٢٥٠م نتيجة سلوكه العدائى الذى انتهجه ضدهم. وبعد أن هدأت الأمور عادت المفاوضات من جديد مع الصليبيين لجلائهم عن دمياط ، وفى ٨ مايو ١٢٥٠م غادر لويس التاسع مصر مع بقايا حملته بعد أن سدد أموال فديته ، وعاد إلى فرنسا يجر أذيال الخيبة.

❖ أسباب فشل الحملة:

- وإذا ما أردنا تقييم هذه الحملة نجد أنها لم تجن سوى الفشل ، وأن هناك عوامل أدت إلى فشلها :

(١) جهلها بطبوغرافية مصر وإصرارها على دخول مصر عبر دمياط والدلتا برغم فشل الحملة الصليبية الخامسة التى انتهجت نفس الطريق .

(٢) الوقت الكبير الذى أضاعه لويس سواء فى مكوثه بقبرص طيلة خمسة أشهر حتى وصلت أنباء الحملة إلى مصر ، أو فى مكوثه لفترة طويلة بدمياط بعد أن استولى عليها مما سمح للقوات الأيوبية بأن تعيد تنظيم نفسها ، وتستعد للتصدى للقوات الصليبية من جديد .

(٣) عدم قدرة لويس على فرض كلمته على قادة جيشه مما جعل بعضهم يخالف تعليماته ويتوغل فى الأراضى المصرية، مما أدى لإلحاق خسائر فادحة فى صفوف القوات الصليبية.

(٤) ظهور قوة المماليك البحرية ، وظهور بعض القادة المتميزين منها مثل ركن الدين بيبرس الذى استطاع إلحاق الهزيمة بصفوف الصليبين أكثر من مرة .

(٥) الدور الكبير الذى لعبته السيدة شجر الدر فى قيادة السفينة الأيوبية فى أعقاب وفاة زوجها الصالح أيوب حتى مرت الأمور بسلام واستلم توران شاه عرش أبيه فى ظل الانتصارات الأيوبية المتوالية على جيوش الصليبيين.

تدريبات

(١) كان هدف الحملة الصليبية السابعة مهاجمة مدينة ....

(ا) الاسكندرية (ب) دمياط (ج) رشيد (د) العريش

(٢) تصدي للحملة الصليبية السابعة الملك الأيوبى .....

(ا) العادل (ب) الكامل (ج) صلاح الدين (د) نجم الدين

(٣) ماهي أسباب فشل الحملة الصليبية السابعة؟

الحملة الصليبية الثامنة:

رغم أن الحملات الرئيسية عادة ما تقتصر على ٧ حملات كما ذكرنا في أول محاضرة إلا أننا يجب أن نشير سريعا وباختصار إلى الحملة الصليبيية الثامنة.

اتجهت الحملة الصليبية الثامنة اتجاها مغايرا تماما فقد ذهبت إلى تونس.

كان هدفها الأساسي نشر المسيحية في شمال أفريقيا ، ثم مهاجمة مصر من تونس

قاد هذه الحملة لويس التاسع ملك فرنسا.

بسبب الحر والأوبئة توفي لويس التاسع وفشلت الحملة تماما.

❖آثار الحروب الصليبية على الشرق والغرب:

❖ الآثار السياسية :

❖ الآثار الثقافية

الاثار السياسية

(١) الاثار السياسية فشل الحملات الصليبية: إذا نظرنا إلى تاريخ الحروب الصليبية من حيث أهدافها يلاحظ أنها فشلت فشلاً ذريعاً بعد أن دامت هذه الحروب حوالى قرنين من الزمان ونيف، فقد تمكنت القيادة الإسلامية من استرداد الأراضى – التى ملكها الصليبيون – شبراً شبراً ، وتمكن المماليك فى النهاية من تطهير بلاد الشام من الصليبيين.وكانت اللحظة الأخيرة في حياة الصليبين في الشام عندما تقدمت قوات السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون لفتح عكا عام ١٢٩١م

(٢) تغير سياسة المسلمين في التسامح مع الغربيين: إذا أن الحكومات الإسلامية التى امتازت من قبل الحروب الصليبية بالتسامح مع أصحاب الأديان الأخرى أخذت تتحفظ فى تسامحها مع الأوربيين بسبب هجماتهم المتكررة على الديار الإسلامية، لذلك نلاحظ قلة عدد الحجاج الأوربيون عقب الحروب الصليبية.

(٣) سقوط دول وقيام دول أخرى: كشفت لنا الحروب الصليبية بجلاء عن أن الجهاد الإسلامى أسقط دولاً وأقام أخرى ؛ فالدولة الفاطمية بعد أن أوهنها الضعف وفتك بها التصارع السياسى بين الوزراء العظام ، ولم تعد تشارك بنصيب فى أمر الجهاد ضد الصليبيين لم يكن من الممكن إلا أن تسقط لتقوم من بعدها دولة مجاهدة ، فكانت دولة الأيوبيين ومن بعدهم أتى المماليك بعد أن مرت الدولة الأيوبية بمرحلة الضعف هى الأخرى .

- ولا نغفل هنا أن البعد الشعبى – جنباً إلى جنب مع فكرة الجهاد – أعان على ذلك الإسقاط وذلك القيام ، فالجماهير التفت حول القادة الذين حققوا لها آمالها ، وفى نفس الحين انفضت عن الذين خذلوها . ففى دور صلاح الدين المثال الأول ، وفى الكامل المثال الثانى . لم تكن الجماهير بعيدة عن الأحداث بل كانت فى صلب التاريخ نفسه مدعمة وشاحذة للهمم ، ومقدمة الأبناء والأموال والجبهة الداخلية ، كذلك من أجل مواجهة الغزاة . وهكذا لم يكن الصراع فى صورة قادة فقط ، بل ومن خلفهم القاعدة الشعبية المدعمة لهم.

(٤) أن نموذج الخلافة كدولة قد انتهت من الناحية العملية فى ظل الصراع ضد الصليبيين على الرغم من بقاء الخلافة تلعب دوراً دينياً وكواجهة شرعية . ولكن عوامل التدهور كانت تعمل عملها فى كيان الخلافة وتضعف منها منذ قبيل الحروب الصليبية . وأدت المواجهة العسكرية والسياسية إلى تكريس نموذج الدولة العسكرية التى يقودها الملك المحارب بدلاً من الدولة التى يقودها الخليفة ولا تتمتع بسلطة واقعية مثلما كان الحال فى الخلافة العباسية ، أو الخلافة الفاطمية ، عندما بدأت القوات الصليبية تصل إلى الأراضى العربية.

(٥) ظهور المقاومة الإسلامية: كان العالم العربي الإسلامي يواجه الخطر الصليبى وهو بحاجة إلى دولة مركزية تأخذ على عاتقها المواجهة والقتال ضد الصليبيين والدفاع عن الأراضى العربية . وهكذا بدأ القرن الثانى عشر الميلادى والمسلمون فى الشرق الأدنى فى خيبة أمل واضحة بسبب افتقارهم إلى شخصية قوية توحد بين صفوفهم وترد إليهم كرامتهم وتدفع عنهم عادية الغزاة المعتدين . وكان أن ظهر عماد الدين زنكى ، الذى تولى أتابكية الموصل عام٥٢١هـ /١١٢٧م ، والذى أخذ على عاتقه خلق جبهة إسلامية موحدة لمواجهة الصليبيين. ومن ثم برزت أتابكية الموصل العسكرية التى تسعى إلى تحقيق هذا الهدف.

- واستطاع عماد الدين زنكى أن يستولى على حلب وبعدها بدأ العمل العسكرى ضد الصليبيين على محور الموصل – حلب ، ثم توجت جهوده العسكرية باستعادة الرها من الصليبيين عام٥٣٩هـ /١١٤٤م . وكان ذلك تكريساً للنموذج السياسى الذى تجسد فى دولته.

وواصل نور الدين محمود سياسة والده ودعم اتجاهات الدولة الزنكية العسكرية الساعية إلى توحيد الجهود الإسلامية فى مواجهة الغزو الصليبى . وعندما نجحت جهود نور الدين فى دخول دمشق عام٥٤٩هـ/ ١١٥٤م كانت تلك خطوة مهمة لتكريس الدولة العسكرية ، ونجح فى الضغط على الصليبيين فى الشمال ، فاتجهوا نجو الفاطميين فى الجنوب ، وتسابق الصليبيون بقيادة عموري الأول ملك بيت المقدس والمسلمون بقيادة نور الدين محمود للحصول على مصر. وكانت أهم النتائج لهذا الصراع هو اختفاء الدولة الفاطمية وتوحيد مصر والشام مع الموصل . وكما وجدنا أن الأمة العربية فى أوقات شدتها تفرز عناصر جهاد من الطراز الأول مثل عماد زنكى ونور الدين محمود ، أخذوا على عاتقهم مهمة حماية وطنهم وتحريره من الغزاة الصليبيين ، فإن الشرق استفاد أيضا من الحروب الصليبية بتلك العناصر التى أعادت موازين القوى فى صالحها واكتسبت الرأى العام معها.

(٦) أدت الحروب الصليبية إلى قيام الدولة الأيوبية ، حيث لعب التنافس بين الوزراء الفاطميين – شاور وضرغام – فى أواخر العصر الفاطمى دوره فى ذلك ، حيث استنجد كلا الوزيرين المتنافسين بأعداء الدولة الفاطمية الطامعين فى أملاك مصر. فقد استنجد شاور بنور الدين محمود ، واستنجد ضرغام بعمورى بيت المقدس ، وانتهز كل منهما الفرصة وأرسل الجيوش لتحقيق مطامعه فى الاستيلاء على مصر . وكان ذلك بداية ظهور صلاح الدين الذى وفد فى ركاب عمه أسد الدين شيركوه قائد الجيوش النورية . وكما سبق ورأينا توطد مركز صلاح الدين فى مصر بعد موت شيركوه ، وكذلك توطد مركزه فى العالم الإسلامى بعد موت نور الدين محمود ، واستطاع صلاح الدين أن يوحد الجبهة الإسلامية بعد مجهود شاق، وأن يتصدى للصليبيين بقوة.

(٧) تفكك الدولة الأيوبية: أدت وفاة صلاح الدين إلى إحداث فراغ سياسى كبير فى المنطقة العربية بعد تفسخ دولته بين أولاده الذين سقطوا فى هوة الصراع العائلى على تركة صلاح الدين . وكانت النتيجة المباشرة لهذا التفكك السياسى أن تفككت دولة صلاح الدين إلى عدة إمارات منفصلة ومتنازعة وبدا كأن الأمور قد عادت إلى الوراء ، وأن جهود عماد الدين زنكى ونور الدين وصلاح الدين قد ذهبت أدراج الرياح . بيد أن السلطان العادل استطاع أن يفرض نوعاً من الوحدة على الأيوبيين فى مصر والشام ، ولكن الطابع العام لسياسة الأيوبيين كان يميل إلى مهادنة الصليبيين ، ويعنى هذا فى

التحليل الأخير أنهم قد تخلوا عن دورهم التاريخى الذى هو مبرر استمرارهم حتى يتفرغوا لمنازعاتهم الداخلية.

- ومن اللافت للنظر أن الدولة الأيوبية التى ظهرت على مسرح التاريخ لأن مؤسسها صلاح الدين الأيوبى قد التزم بهذا الدور التاريخى قد فقدت مبررات وجودها منذ أخذ ملوك بنى أيوب وسلاطينهم يتخلون عن هذا الدور بشكل أو بآخر. وعلى الرغم من جهود العادل والكامل والصالح نجم الدين العسكرية ضد الصليبيين ، فالواضح أنها كانت جهوداً دفاعية تأتى رد فعل للهجمات والحملات الصليبية.

(٨) قيام دولة المماليك: كانت دولة سلاطين المماليك امتداداً للدولة الأيوبية فى بنائها وطبيعتها العسكرية، والأسس السياسية والاقتصادية التى قامت عليها . كما أنها ورثت دورها فى قتال الصليبيين. لقد كانت أحداث الحملة الصليبية السابعة التى انتهت عام٦٤٨هـ /١٢٥٠م بأسر الملك لويس التاسع ، وتبدد جيشه بين الأسر والقتل عقب الهزيمة التى ألحقها به المماليك فى المنصورة وفارسكور بمثابة إرهاصات الميلاد لدولة سلاطين المماليك ، وقد برز زعماء المماليك البحرية من أمثال : فارس الدين أقطاى ، وعز الدين أيبك ، وبيبرس البندقدارى خلال المعارك ضد الصليبيين وأظهروا شجاعة وقدرة عسكرية فائقة.

(٩) ومن الآثار السياسية للحملات الصليبية أيضاً أنها قد أخرت سقوط القسطنطينية فى يد الأتراك العثمانيين . وتفسير ذلك أن الحروب الصليبية قد أنهكت القوى الإسلامية ، مما جعلها أقل مقاومة لتيار المغول القادم من الشرق ، ومع مقاومة وحروب الصليبيين من جانب وقوى المغول من جانب نجد أن القوى الإسلامية قد انشغلت لوقت طويل بهذا الصراع ، ولم تتفرغ إلا بعد وقت طويل لمهاجمة العاصمة البيزنطية وإسقاطها عام٨٥٧هـ /١٤٥٣.

(١٠) ومن المعروف أن الحروب الصليبية قد أفرزت العديد من المنظمات العسكرية والدينية ، مثل هيئات الاسبتارية ، والداوية ، والتيوتون . وهم رهبان في الأصل تحولوا إلى فرسان محاربين.فأصبحوا (فرسانا رهبانا) يكرسون حياتهم كلها لحرب المسلمين، دون تشغلهم زوجة أو أبناء حيث أنه محرم عليهم الزواج بصفتهم رهبان.

أما الهيئة الأولى فقد نشأت من خلال تلك المستشفى التى أقامها الأمالفيون ، أهالى مدينة أمالفى Amalfi الإيطالية ، فى القدس فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ، وعرفت الهيئة بالاسبتارية Hospitallers . وفيما بعد عندما طرد الصليبيون من بلاد الشام اتجه الاسبتارية إلى جزيرة رودس وصار اسمهم فرسان رودس The Knights of Rode ، ثم اتجهوا لجزيرة مالطة عام٩٣٧هـ / ١٥٣٠م فعرفوا باسم فرسان مالطة The Knights of Malta.

والهيئة الثانية هى الداوية Templars ، التى أسسها فى الأصل الفارسان هيو دى باين Hugh de Paynes ، وجودفرى السانت أوميرى Godfrey de Saint Omer عام٥١٢هـ /١١١٨م . وقد قامت الهيئة فى الأصل بحماية الطريق الواقع بين يافا والقدس . وكانت هذه الهيئة من أشد العناصر الصليبية عداءاً للمسلمين ، وشاركت مع الاسبتارية فى صنع تاريخ المعارك الحربية التى وقعت بين الصليبيين والمسلمين. وقد فر فرسان الداوية الذين نجوا من مذبحة عكا إلى جزيرة قبرص ، ثم استولوا على جزيرة رودس عام ١٣١٠م ، واستبدلوا اسم فرسان الداوية بفرسان رودس ، ظلوا يحكمون رودس حتى استولى عليها الأتراك العثمانيين عام ١٥٢٢م ، فانتقلوا إلى جزيرة مالطة حتى حُل نظامهم فى عام ١٧٩٩م.

أما هيئة التيوتون فقد ظهرت خلال حصار عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة ، عندما قام تجار ألمان من مدينة لوبيك Lubeek وبريمن Bremenبإنشاء مستشفى من أجل رعاية الحجاج الألمان . وبعد سقوط عكا انتقلوا إلى بروسيا واتخذوا من مدينة مارينبورج Marieburg مقراً لهم.

الاثار الثقافية

(١) كان للحروب الصليبية اثر بارز فى الأدب العربى من شعر ونثر ، فقد نشط الشعراء والكتاب لبعث الحمية فى النفوس واستنهاض الهمم للجهاد أو لتسجيل المعارك ، وأيضاً المعارك انتصاراً أو انهزاماً . وكانوا يمدحون القواد والسلاطين والملوك الذين أظهروا شجاعة ، وأنشئت الكتب الكثيرة والرسائل الطويلة فى تدوين سير الملوك ، وفى الفروسية ، والتحريض على الجهاد . وكان الشعر يمتاز بشبوب العاطفة وصدق اللهجة، وبرع شعراء كثيرون لاسيما الذين اتصلوا بزنكى ونور الدين وصلاح الدين ، ولم يبخل هؤلاء الملوك بتشجيع الشعراء وإكرامهم واصطحابهم إلى ميادين القتال فتكونت نهضة شعرية ممتازة

(٢) وكان من مظاهر التأثير الأدبى ظهور ما يعرف باسم " النبويات " ، وهى قصائد مطولة كتبت فى غرض جديد هو الاستغاثة بالرسول والتوسل إليه برفع المعاناة . وتجلت أيضاً فى مجال القصص الشعبى الذى كان القصاصون يلقونه على مسامع الناس فى محافلهم وأنديتهم فيطربون لما تحمله هذه القصص فى ثناياها من أحداث وشخصيات تحمل لهم التعويض من واقعهم البائس ، وتوفر لهم الأمل وتنتقم لهم من رموز الظلم .

وحكايات ألف ليلة وليلة تحمل أصداء هذه التأثيرات التى تركتها الحروب الصليبية فى العالم العربى فى الجانب الثقافى . والحكايات التى تدور حول الحروب الصليبية فى ألف ليلة وليلة ثلاث حكايات تستغرق أكثر من مائتى ليلة وهى :

١- حكاية الملك نعمان وولديه شركان وضوء الزمان ،

٢- حكاية على نور الدين ومريم الزنارية ،

٣- حكاية الصعيدى وزوجته الفرنجية ، لقد سربت الحروب الصليبية بعض أحداثها ووقائعها إلى حكايات ألف ليلة وليلة ، وفيها نرى التفاعل بين الفن الشعبى والتاريخ.

(٣) على الجانب الآخر تأثر الصليبيون بالفنون والثقافة الإسلامية ، حيث أعجبوا بروعة الزجاج المصنوع فى بلاد الشام ونقلوا هذا التأثير وأسرار هذه المهنة ، وأدى ذلك إلى ظهور الزجاج الملون الذى نشاهده فى الكنائس القوطية . كما تأثر الغرب بالشعر والعلوم والفلسفة العربية التى وصلت إليهم عن طريق إسبانيا وصقلية بالإضافة إلى الحروب الصليبية . وعندما استولى الصليبيون على القسطنطينية تأثروا كذلك بالثقافة اليونانية، ومن هذه المعرفة أدرك الغرب المسيحى أن غير المسيحيين بشر متحضر ولهم خلائق ممتازة ويفوقونهم حضارة .

(٤) وفى النهاية لا ننسى أن نذكر أن الحملات الصليبية كانت فرصة لتعرف أوربا مدى تخلفها عن الشرق فى كثير من الأمور الحضارية ، ولنأخذ مجال الطب على سبيل المثال ، فقد كانت أوروبا في ذلك الوقت فى قمة التخلف ، حيث كانت الكنيسة تعتبر المرض عقاب من الله ولا يجب رده أبدا ، لذلك كانت الخرافات والشعوذة منتشرة لديهم عكس ما كان يتمتع به الشرق من تقدم في جميع المجالات بما فيها الطب. ومثال ذلك القصة التى رواها الفارس العربي المسلم أسامة بن منقذ، وكان شاهد عيان خلال زيارته للصليبيين، وكتب انطابعاته في كتابه المعروف «الاعتبار»، والتى تدل على تخلف الطب الصليبى، ومفادها أن فارساً صليبياً كان قد مرض وأشرف على الموت فأحضروا قسا كبيراً من قساوستهم لعلاجه إيماناً منهم انه إذا وضع يده عليه فسيشفى فى الحال ، ولكن ما حدث هو أن عندما رأى القس الفارس المريض قال لأهله أعطونى شمعا فاحضر الشمع ثم لينه القس وصنع منه ما يشبه الكرات ووضعها فى انف الفارس فمات فى الحال ، فلما قال أهل المريض للقس إن مريضهم قد مات قال " نعم فقد كان يتعذب فسددت أنفه حتى يموت ويستريح" .

تدريبات

(١) من النتائج السياسية للحروب الصليبية سقوط الدولة ....

(ا) الفاطمية (ب) العباسية (ج) الطولونية (د) الصفارية

(٢) من النتائج السياسية للحروب الصليبية قيام الدولة .....

(ا) الفاطمية (ب) العباسية (ج) الأيوبية (د) الأخشيدية

(٣) أذكر (٣) من الآثار السياسية التي ترتبت على الحروب الصليبية؟

المحاضرة الثالثة عشرة

❖ **آثار الحروب الصليبية على الشرق والغرب:**

❖ **الآثار الاقتصادية:**

❖ **الآثار الاجتماعية:**

الاثار الاقتصادية

(١) كان نظام الإقطاع العسكرى هو النمط السائد لملكية الأرض فى المنطقة قبل ظهور الصليبيين. وفى ظل هذا النظام وتحت سلطة الفاطميين والسلاجقة عاش الفلاحون حياة تقترب من العبوية – عبودية الأرض أي القنانة - وفى كثير من الأحيان نتيجة العلاقات النهبية التى ربطت أولئك الفلاحين بسادتهم من أصحاب الاقطاعات . ومع تزايد الإقطاع الشخصى صارت الأرض الزراعية مجرد مورد للحصول على النفقات اللازمة لتجنيد المقاتلين ، ولم يعد أصحاب الاقطاعات يهتمون بالأرض أو رفع كفاءتها أو وسائل الرى وسائر أوجه العناية الواجبة للأرض الزراعية والنتيجة أن تدهورت إنتاجية الأرض الزراعية إلى حد مخيف.

(٢) كانت أحوال الفلاحين المسلمين فى المناطق الإقطاعية الصليبية أفضل من نظرائهم فى المناطق الإسلامية بشهادة أحد شهود العيان لتلك الفترة ، فقد ذكر ابن جبير فى معرض حديثه عن منطقة تبنين أن " سكانها كلهم مسلمون وهم مع الفرنج على حال حسن ، ذلك أنهم يؤدون لهم نصف الغلة عن أوان ضمها ".

ويظهر من كلام رحالتنا أن أحوال الفلاحين المسلمين فى المناطق الصليبية كانت طبية مع أصحاب الإقطاعات من الصليبيين، وذلك على العكس من أحوالهم فى الأراضى التى تخضع للمسلمين ، حتى كاد ذلك يثير دهشة المسلمين من حسن تعامل الصليبيين معهم بعكس بنى جلدتهم من المسلمين أصحاب الإقطاعات. وربما ترجع هذه المعاملة الحسنة من قبل الصليبيين لهم إلى حقيقة أن الفلاحين كلهم مسلمين ، وأن الصليبيين بحاجة إلى قوة عملهم فى هذه المنطقة بسبب قلة مواردهم البشرية ، لكن ذلك لم يكن يعنى أن أحوال الفلاحين المسلمين فى المناطق الصليبية كانت كلها على هذا المستوى، ففى بعض المناطق مثل مستعمرة البيرة مثلاً تم طرد الفلاحين المسلمين وتم إحضار أفراد من المدن الأوربية للعمل فى الزراعة ضمن مخطط الصليبيين لمنع احتكار المسلمين للعمل بالزراعة.

(٣) وعلى الرغم من الانتعاش المؤقت الذى شهدته الزراعة فى بعض المناطق الإسلامية والصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى وفقاً لما ورد فى كتابات الرحالة المعاصرين مثل ابن جبير، فإن الآثار السلبية للحروب الصليبية كانت على المدى الطويل كارثة على الزراعة والإنتاج الزراعى فى مصر وبلاد الشام على السواء ، فقد كانت العمليات العسكرية من الجانبين سبباً فى خراب مناطق كثيرة ، فقد ذكر ابن جبير " أن الطريق من حمص إلى دمشق كان خراباً مهجوراً .. قليل العمارة " . ومن الواضح أن مناطق كثيرة خربت زراعتها بحيث أضطر الفلاحون للنزوح للمدن حيث يجدون الطعام والمأوى ، مما أدى إلى تدهور الإنتاج الزراعى بهذه المناطق.

(٤) على الجانب الآخر نجد أن الحروب الصليبية قد تركت آثارها على أوربا فى هذا المجال أيضاً ، فقد أصيب الإقطاع فى أوربا – والذى كان عصب النظام الاجتماعى والعسكرى فيها – بضربة قاصمة لم يفق منها إلا بصعوبة وبعد أن خسر كل مكاسبه .

ويرجع ذلك إلى أن ما كان يناسب النظام الإقطاعى هو المغامرات والبطولات الفردية فى حدود ضيقة ، ومن هنا لم يتمكن الإقطاع من أن يوفق بين ما هو مألوف لديه وبين مناخ بلاد الشام والحروب فى أماكن بعيدة عن مراكزه . كما أن الإقطاع قد استنفذ كل ما لديه من عتاد وفشل فى الاحتفاظ بما لديه من بلاد فى الشام ، وتجرأ على مهاجمة الإمبراطورية البيزنطية المسيحية.

- كما أن الفرسان وهم عصب النظام الإقطاعى قد باعوا أملاكهم فى أوربا ليحصلوا على المال اللازم للحروب الصليبية ، وبذلك تخلوا عما كان لديهم من حقوق فى بلادهم ، كما أنهم أعفوا الكثير من الفلاحين من الضرائب ، واستفاد الآلاف من أرقاء الأرض من امتيازات الحروب الصليبية فتركوا الأرض ولم يعودوا إليها . وقد أدى هذا كله إلى تقلص النفوذ الإقطاعى فى أوربا ، فإذا أضفنا إلى هذا ضعف الإمبراطورية الرومانية المقدسة فى ألمانيا والإمبراطورية البيزنطية ، نجد أن الفرصة قد واتت الملوك لزيادة سلطتهم وتقوية المركزية فى دولهم.

(٥) أما عن الصناعة، فقد انتعشت بعض الصناعات مثل صياغة الذهب والفضة ، وصناعات الحديد والأسلحة والجلود والصابون والسجاد على نحو لم يسبق له مثيل إبان ازدهار الكيان الصليبى فى القرن الثانى عشر الميلادى والهدوء النسبى الذى ساد فى عصر خلفاء صلاح الدين . ولكن العمليات العسكرية العنيفة التى جرت فى عهد صلاح الدين، ثم تدهور الكيان الصليبى خلال العصر المملوكى جعل الإيطاليين ينقلون عدد من هذه الصناعات إلى بلادهم، ولم يلبثوا أن تفوقوا فى بعضها وأصبحوا مصدرا هاماً من مصادرها فى التجارة العالمية. إلا أن صناعة النسيج الشامية ومنتجاتها ظلت طوال القرنين الرابع

عشر والخامس عشر الميلاديين تسيطر على الأسواق الخارجية ، ولم تعان أى منافسة إيطالية قبل القرن السادس عشر ميلادى، وربما يرجع تفسير ذلك إلى الاستقرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى نعمت به بلاد الشام خلال الشطر الأول من عصر سلاطين المماليك.

(٦) وفيما يتعلق بالتجارة ، يمكن القول بأن التجارة سارت وراء الصليب، أو لعل التجارة هى التى قادت الصليبيين إلى بلاد الشام ، فقد انتزعت الأساطيل التجارية الإيطالية السيطرة على جانب كبير من البحر المتوسط كان تحت سيطرة المسلمين أو البيزنطيين. والحقيقة أن مدن إيطاليا مثل البندقية وأمالفى وجنوه وبيزه ومدن فرنسا مثل مرسيليا ومدن أسبانيا مثل برشلونة، كانت تتاجر مع المسلمين قبل الحروب الصليبية، ولكن الحروب الصليبية وسعت نطاق هذه المدن التجارية على حساب المسلمين والبيزنطيين إلى حد كبير.

- وكان من جراء ذلك أن وصل إلى أوروبا كميات وافرة من الأقمشة الحريرية والتوابل التى كانت تعتبر من مواد الترف فى أوروبا ، كما انتقل إليها كميات كبيرة من النباتات والمحاصيل والأشجار التى عرفتها أوربا من الأندلس والشرق ، ومن ذلك الحبوب مثل الذرة والأرز والسمسم ومنتجات أخرى مثل الخروب والليمون والبطيخ والخوخ والمشمش والبصل والسكر.

على الجانب الآخر ، قامت علاقات تجارية نشطة بين المسلمين والصليبيين ، حيث لم يكن فى استطاعة الصليبيين أن يحلوا محل المسلمين فى احتكارهم لتجارة الشرقين العربى والأقصى ، لذا فسرعان ما عقدت الاتفاقيات بين الطرفين لتسهيل عبور القوافل التجارية. وإذا كانت الحروب الصليبية التى نشبت بين المسلمين والصليبيين قد عرقلت مسيرة القوافل الإسلامية التى تأتى إلى بلاد الشام أو تخرج منها ، إلا أنها من ناحية أخرى ضاعفت النشاط التجارى مع الغرب الأوربى بوجه خاص عن طريق الموانئ البحرية التى سيطر الصليبيين عليها فى بلاد الشام ، وكثيراً ما كان العامل التجارى يدفع المسلمين والصليبيين على السواء لعقد هدنة أو صلح ليتمكن الطرفان من استئناف التجارة دون عائق.

وقد سجل لنا ابن جبير ظاهرة غاية فى الأهمية وهى أنه رغم العداوة بين المعسكرين الإسلامى والصليبى إلا أن ذلك لم يعطل حركة التجارة بين رعايا الطرفين فى أنحاء الشام ، ودلل على ذلك بما شاهده من نشاط وتبادل تجارى بين دمشق الإسلامية وعكا الصليبية ، على الرغم من أن الحرب كانت دائرة وقتها بين صلاح الدين وارناط صاحب حصن الكرك، واستطاع صلاح الدين تحقيق انتصار كبير على الصليبيين وأسر عدد كبير منهم عاد بهم إلى الشام وقت خروج ابن جبير منها. وقد سجل ابن جبير تعجبه من هذا الأمر بقوله " ومن أعجب ما يحدث به فى الدنيا أن قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الإفرنج وسبيهم

يدخل إلى بلاد المسلمين ". كما يصف العلاقة بين التجار المسلمين والصليبيين فيقول " والاتفاق بينهم والاعتدال فى جميع الأحوال سلماً أو حرباً ، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم ....".

والحقيقة أن ابن جبير اكتفى بتعجبه من هذا الأمر ولم يقدم لنا سبباً واضحاً لذلك . أما التعليل الحقيقى لذلك، فهو أن كلا من الطرفين المتحاربين لم يكن يستطيع الاستغناء عن الآخر، إذ أن الصليبيين بعد أن تمكنوا من الاستيلاء على الساحل الشامى الممتد من السويدية ميناء أنطاكية إلى غزة جنوباً ، ويُعد عام ٥٤٨هـ / ١١١٣م ، عاماً حاسماً فى هذا المجال على اعتبار أن الصليبيين تمكنوا من إغلاق هذا الساحل بالكامل فى وجه المسلمين، وصارت القوى الإسلامية الشامية بمثابة قوى برية حبيسة لا تستطيع تصريف منتجاتها التجارية إلا عن طريق الصليبيين أنفسهم المسيطرين على الساحل. كما أن الأخيرين صاروا يقومون بدور الوسيط التجارى بين المسلمين والقوى التجارية الأوربية ، ولا ريب فى أن القوى الصليبية قد استفادت من ذلك الأمر وغنمت مغانم وفيرة من عوائد المكوس من جراء تجارة العبور.

ولا يخفى علينا أن التبادل التجارى بين المسلمين والصليبيين كان له أثره الكبير فى حالة الانتعاش التى شهدها المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام وخاصة فى المدن . ذلك أنه على الرغم من الظروف القاسية التى مرت بها كثير من مدن الشام فى تلك الفترة ، فإنه يبدو أن نسبة كبيرة من أهلها اتسعت ثرواتهم وظهرت عليهم علامات النعمة مما تشير إليه المصادر المعاصرة من أن نور الدين محمود قد تصدق على فقراء المسلمين فى بلاد الشام عام٥٦٩هـ /١١٧٣م ، وهو العام الذى توفر فيه بما زاد عن ثلاثين ألف دينار، وهو مبلغ بلا شك كبير بمقاييس ذلك العصر . وانعكس هذا الثراء كأوضح ما يكون فى الاحتفالات العامة والخاصة ومنها الأعياد الدينية كعيدى الفطر والأضحى ومولد النبى صلى الله عليه وسلم فضلاً عن رمضان، كما انعكس أيضاً على المناسبات الاجتماعية السارة كحفلات الزواج. كما انعكس آثار ذلك الثراء فى المنشآت العامة كالقصور والحمامات وغيرها.

الاثار الاجتماعية

١-كانت بداية العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والصليبيين سيئة للغاية ، فإذا كان الوازع الدينى هو الشكل الظاهر الذى قدم به الصليبيون للشرق ، فإن المذابح الرهيبة التى ارتكبوها عند دخولهم مدن الشام كانت تتنافى مع هذا الشعار المعلن . وأى وازع دينى عند أولئك الغزاة الذين لم يحجموا عن ذبح سبعين ألف مسلم فى المسجد الأقصى غداة سقوط بيت المقدس فى أيديهم عام ١٠٩٩م. وبصفة عامة أكدت مذبحة القدس الشنيعة على عدد من الحقائق التى صارت بمثابة قواعد أساسية كشفت عن الوجه الحقيقى للغزو الصليبى إلى المنطقة . فيلاحظ أن الصليبيين كشفوا عن الوجه الحقيقى للغزو الصليبى المتعصب للحركة الصليبية ، وأيضاً الطابع الدموى الذى سيطر على عقولهم وجعلهم لا يرون

إلا الجثث والدماء والجماجم. وكذلك كشفت عن الطابع العدائى التصادمى للحركة الصليبية، وأنها ما جاءت من أجل إقامة جسور الثقة أو من أجل رسالة حضارية لأبناء المنطقة، بل من أجل غرس كيان دخيل أجنبى غاصب بقوة السلاح وعلى حساب أبناء الأرض الأصليين.

٢-وفيما يتعلق بأثر الحملات الصليبية على التركيبة السكانية فى المنطقة ، فنحن نعلم أن بلاد الشام عشية الحملة الصليبية الأولى كانت تضم عناصر عربية وتركية وكردية وسريانية ، فضلاً عن الأرمن والبيزنطيين. وبينما كانت العناصر العربية تشكل أغلبية السكان ، كانت عناصر الأتراك السلاجقة والتركمان تمثل العنصر السكانى الذى يلى العرب أهمية . أما الأكراد فكانوا موجودين بالمنطقة قبل قدوم الصليبيين لكن أهميتهم الاجتماعية زادت بعد أن صاروا أغلبية فى جيوش صلاح الدين .

وجاءت مع الصليبيين عناصر جديدة زادت من تنوع الفسيفساء السكانية فى بلاد الشام ، وأدت لجعلها فى حال من السيولة وعدم الاستقرار ، فالمذابح الصليبية ، والتهجير الجماعى، والاستيطان وإعادة التوطين، وتبادل السيادة على بعض مناطق الحضر والريف خلال الصراع الطويل. كل ذلك أدى إلى حال من السيولة السكانية، فقد تحولت أقليات إلى أغلبيات فى بعض المناطق، أو العكس أحيانا، أو شهدت تحول السكان عن ديانتهم، وصاحب الهجمات الصليبية حالات من السكان تحولوا إلى عبيد، على حين بقى عدد منهم للقيام بواجبات الخدمة فى المدن الصليبية.

(٣) وأدى الوجود الصليبى فى بلاد الشام إلى تأثير كبير على طبيعة المجتمع فى هذه المنطقة ، فقد صار هناك نوعين من المجتمعات ؛ الأول مجتمع لاتينى صرف على نحو محصور ، حيث كانت تتم عملية إحلال صليبى وطرد للسكان المحليين. وكانت عملية الإحلال الصليبى تتم من خلال المستوطنين المهاجرين الذين يحلون محل السكان المحليين وخلق مجتمع قابل للنمو، وحيث استطاع القادمون الأوربيون الجدد القيام بكل المهام الاقتصادية والوظائف الاجتماعية ... الخ ، إذ كان الفلاح والتاجر والصانع والموظف ، المحكومين والحكام من بين السكان الأوربيين المستوطنين . والنوع الثانى من المجتمعات ، مجتمع مختلط من الأوربيين الغربيين والشرقيين المحليين (مسلمين ومسيحيين) ؛ وهذا النوع من المجتمعات كان يعنى الحفاظ على السكان المحليين واستعبادهم، واستخدامهم كمصدر للدخل من خلال استخدام النفوذ السياسى والعسكرى على السكان المحليين.

وكان الواقع الديموغرافى هو الذى يقرر أحد هذين النوعين من المجتمعات فى كل منطقة . وفى نهاية عام ١٠٩٩م تضاءل عدد الصليبيين بشكل خطير وتقلص إلى مئات من الأسر والفرسان والعامة ، ولم تكن الأرض التى استقر بها الصليبيون فى المنطقة العربية خالية من السكان ، وهنا لجأ الصليبيون إلى طرد وإبعاد السكان المحليين كما حدث فى المدن العربية التى احتلها الصليبيون قبل عام ١١١٠م ، وأصبح هذا الطرد والإبعاد للسكان المحليين سلوكاً صليبياً عملياً . وتقاطرت بعده موجات من المهاجرين الأوربيين إلى هذه المناطق ، وأصبح لديهم الاستعداد النفسى للاستقرار الدائم فى هذه المناطق الجديدة.

(٤) وقد تأثر الصليبيون ببعض العادات الاجتماعية التى وجدوها فى الشرق ، فقد وصف أحد مؤرخى القرن التاسع عشر أوربا العصور الوسطى بأنها مجتمع نسى أن يستحم لمدة ألف عام، وهذا الوصف لم يكن ينطبق على الصليبيين فى الشرق بالتأكيد ، إذ كان الصابون ينتج محلياً ، وربما كان يصدر للخارج أيضاً . وقد جلب تردد بعض الصليبيين على الحمامات العامة تهمة " الرفاهية عليهم " ، إذ أشار برنار الكليرفوى الزاهد فى فخر بأن الداوية الذين يتمتعون بعطفه وحمايته لا يستخدمون الحمام إطلاقاً ! وبعده بخمسين عاماً كتب جيمس الفيترى أسقف عكا منددا بهذه البذاءات التى تحدث بين سيدات الطبقة الراقية فى المجتمع الصليبى، فقد كان الجنوية يسمحون بالاستحمام العام (على الرغم من عدم اختلاط الجنسين)

(٥) وكان من أهم الآثار الاجتماعية للحروب الصليبية هو غياب الحرية الدينية فى مناطق الحكم الصليبى فى بلاد الشام سواء للمسلمين والصليبيين. ففيما يتعلق بالمسلمين من السكان المحليين حول الصليبيون الكثير من المساجد بعد الاستيلاء على ذخائرها إلى كنائس وخاصة المساجد الكبرى، ولم يبق للمسلمين فى كثير من المدن سوى بعض المساجد الصغيرة والقليلة جداً. وقد تحول المسجد الأقصى فى مدينة القدس إلى هيكل سليمان واتخذته هيئة فرسان الداوية مركزاً رئيسياً لهم وفى طرابلس قام الصليبيون بتحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة، وهكذا الحال فى كل مدينة خضعت لهم

أما الطوائف المسيحية الشرقية – الروم الأرثوذكس، السريان، الأرمن وغيرهم- فقد قام الصليبيون بإقصاء كبار رجال دينهم عن مناصبهم وإحلال رجال دين من اللاتين بدلاً منهم، وحملهم على أن يؤدوا ضريبة العشر للكنيسة اللاتينية إلى جانب إغفال شعائرهم الدينية، كما تعرضوا كثيرا لتدخل الصليبيين فى شئون دينهم، وتعرضت كثير من كنائسهم لكثير من عمليات السلب والنهب.

(٥) وكان من أهم الآثار الاجتماعية للحروب الصليبية هو غياب الحرية الدينية فى مناطق الحكم الصليبى فى بلاد الشام سواء للمسلمين والصليبيين. ففيما يتعلق بالمسلمين من السكان المحليين حول الصليبيون الكثير من المساجد بعد الاستيلاء على ذخائرها إلى كنائس وخاصة المساجد الكبرى ، ولم يبق للمسلمين فى كثير من المدن سوى بعض المساجد الصغيرة والقليلة جداً. وقد تحول المسجد الأقصى فى مدينة القدس إلى هيكل سليمان واتخذته هيئة فرسان الداوية مركزاً رئيسياً لهم وفى طرابلس قام الصليبيون بتحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة ، وهكذا الحال فى كل مدينة خضعت لهم

- ومن المعروف أن الروم الأرثوذكس كانوا الأكثر عدداً بين الطوائف المسيحية المختلفة ببلاد الشام ، وقد قام الصليبيين بإقصاء كبار رجال دينهم عن مناصبهم وإحلال رجال دين من اللاتين بدلاً منهم ، وحملهم على أن يؤدوا ضريبة العشر للكنيسة اللاتينية إلى جانب إغفال شعائرهم الدينية . كما تعرض السريان الأرثوذكس لتدخل الصليبيين فى شئون دينهم ، وتعرضت كثير من كنائسهم لكثير من عمليات السلب والنهب.

تدريبات

(١) من الصناعات التي لم تتأثر سلباً بالحروب الصليبية في الشام صناعة ....

(ا) الأخشاب (ب) النسيج (ج) الأواني (د) الجلود

(٢) كانت العناصر ..... تشكل أغلبية السكان في الشام عشية الحروب الصليبية

(ا) التركية (ب) الفارسية (ج) العربية (د) الصليبية

(٣) أذكر (٣) من الآثار الاقتصادية التي ترتبت على الحروب الصليبية؟

المحاضرة الرابعة عشر

مراجعة

المحاضرات من ١- ٣

- **أدوار الحروب الصليبية ومداها الزمني** – الفترة النشطة ١٠٩٥- ١٢٩١م وما بعدها وما قبلها
- أحوال العالم الإسلامي قبيل الحروب الصليبية.
- أحوال العالم الأوروبي قبيل الحروب الصليبية.

دوافع الحروب الصليبية:

- - الدافع الديني
- الدافع السياسي
- الدافع الاقتصادي
- الدافع الاجتماعي

الحملة الصليبية الأولى:

- الدعوة للحملة (مجمع كليرمونت وخطبة البابا أوربان الثاني)
- القسم الأول حملة العامة.
- قادة ودعاة الحملة الأولى / حملة العامة
- البابوية وحملة العامة.
- طريق الحملة
- الدولة البيزنطية وحملة العامة
- تبلور سياسة الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين في التعامل مع الصليبين.
- وصول حملة العامة إلى القسطنطينية
- نقل الحملة إلى آسيا الصغرى
- الاشتباك مع الأتراك السلاجقة وتدمير الحملة.
- **المحاضرات من ٤- ٧**
- **الحملة الصليبية الأولى – حملة الأمراء**
- <u>قادة الحملة:</u>
- <u>موقف البابوية من الحملة:</u>
- <u>طريق الحملة:</u>

- موقف الدولة البيزنطية من الحملة:
- أحداث الحملة:
- نتائج الحملة
- ١- تأسيس أربع إمارات صليبية فى بلاد الشام والتمهيد للوجود الصليبي هناك لفترة تتجاوز عدة قرون.
- ٢- محاولة القوى الإسلامية فى الشام توحيد صفوفها.
- **الحملة الصليبية الثانية:**
- عماد الدين زنكى واسترداد الرها:
- ❖ أسباب الحملة:
- ❖ موقف البابوية من الحملة:
- ❖طريق الحملة:
- ❖موقف الدولة البيزنطية من الحملة:
- ❖أحداث الحملة: ❖ نتائج الحملة:
- ❖ صلاح الدين الأيوبي:
- ----------

- ظهور صلاح الدين الأيوبى:
- صلاح الدين ومواجهة الصليبين:
- موقعة حطين:

❖ أسباب الحملة:

قيادة الحملة:

(فريديريك باربروسا- فيليب أوغسطس- ريتشارد قلب الأسد)

موقف الدولة البيزنطية:

❖ أحداث الحملة: مشكلة صور – مشكلة عكا

صلح الرملة:

المحاضرات من ٨-١٠

❖ الحملة الصليبية الرابعة:

- ❖ أسباب الحملة: ❖ أحداث الحملة:

نتائج الحملة:

الحملة الصليبية الخامسة:

❖ أسباب الحملة:

❖طريق الحملة:

قادة الحملة: ❖أحداث الحملة: أسباب فشل الحملة

❖ الحملة الصليبية السادسة:

❖ أسباب الحملة: - شخصية الإمبراطور فريدريك

❖ موقف البابوية من الحملة:

❖الحيرة بين الكامل وفريدريك صلح يافا

نتائج الحملة

المحاضرات من ١١-١٤:

❖ الحملة الصليبية السابعة:

❖ أسباب الحملة:

❖أحداث الحملة:

❖ أسباب فشل الحملة:

نتائج الحروب الصليبية: سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية

(١) نبتت فكرة الحملة الصليبية الثانية نبتت فى بلاط لويس....

(ا) الخامس (ب) السادس (ج) السابع (د) الثامن

(٢) كان من أسباب الحملة الصليبية الثانية هو سقوط إمارة .....

(ا) الرها (ب) طرابلس (ج) انطاكية (د) بيت المقدس

(٣) ماهي النتائج التي ترتبت على الحملة الصليبية الثانية؟

١- انحطت هيبة الصليبيين ومكانتهم بالشام

٢- زاد نفوذ المسلمين وارتفعت روحهم المعنوية

٣- تشجعت القوى الإسلامية فى الشرق الأدنى وبدأت تغير على ما جاورها من أملاك الصليبيين وتسترد ما سبق أن فقده المسلمون